رؤى وأفكار (١)

تفكيك المحاور الفكرية للجماعات المتطرفة والإرهابية

كتبه

الأستاذ الدكتور

علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإننا نقدم بين يدي القارئ أربعين محورا دارت حولها ـ حسب رؤيتنا ـ شخصية المتطرفين وأفكارهم وسلوكياتهم.

وهذه المحاور الأربعون تفرعت من شجرة أصولها أربعة أركان: سمات فكرية ـ وسمات معرفية ـ وسمات سلوكية ـ وسمات شخصية (عقلية ونفسية).

وأهمية عرض تلك الشجرة من المحاور تكمن في أمرين: الأمر الأول فهم شخصية المتطرف ونفسيته، والتعرف عليه وتمييزه في المجتمع، من خلال النظر إلى سماته. والأمر الثاني تفكيك تلك الشخصية والرد على أفكارها، ومعالجة جذور انتشار تلك الأفكار، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى الانتماء إليها واعتناقها.

إن التطرف مرض، وأولى خطوات علاجه ومكافحته والتغلب عليه؛ كشفه، وعزله، وتشخيصه، ومعرفة بؤرة الإصابة به، وتحديد مكانها، وما حفزها، ومن أين بدأت.. وهكذا، بخطوات منهجية يمكننا اقتلاع التطرف والعنف من المجتمع.

إن فكر المتطرف يسير عبر قنوات ملتوية ومناهج مغلوطة، ومن ثم فإنه ينتهي أمره إلى نتائج خاطئة ومعارف متضاربة وغير واقعية، ومن ثم يندفع في سلوكه نحو العنف والعداء تجاه نفسه وتجاه المجتمع، ويصل الأمر إلى التدمير والتخريب.

إن شجرة المحاور الأربعين توصلنا إليها بالاستقراء من أدبيات الجماعات الضالة والمنحرفة، والتي نشرت في دوريات أو كتب أو في شبكة الإنترنت خلال التسعين عاما الماضية، وكذا بالاستنباط من الدراسات المنهجية والتحليلات العميقة لفكر تلك الجماعات.

وإن هذه الرؤى عبارة عن خطوة من خطوات المواجهة الفكرية العلمية الدينية التي يجب أن يبدأ منها مكافحة الإرهاب؛ لأنها عمل أقل كلفة، وأقل جهدا وخسارة، وأوسع مجالا، وأدوم مفعولا، وإن صحت تلك المواجهة فإن لها نتائج مبهرة في عزل فرق الإرهابيين ومحاصرة أفرادهم في المجتمع، ومن ثم يضيق الخناق حولهم؛ لأننا بكشف سوءتهم العقلية والفكرية وضلال مناهجهم أمام الناس نحد من تسرب أفراد المجتمع إليهم، أو تقديمهم العون المادي أو المعنوي، فلن يجد المتطرفون تعاطفا أو دعما من أفراد المجتمع، بل إنهم سيواجهون بالنبذ والنفور.

وكل هذا من شأنه أن يسرع بتفكيك التكتلات المتطرفة والجماعات الضالة ويمنع من عودتهم أو تحولهم أو نشوؤهم مرة أخرى في ذات الصورة أو في صورة أخرى.

إن العنف والتطرف مرض شائع أصاب الإنسان منذ هبط آدم إلى الارض، وعبر تاريخ الإنسانية يظهر الإرهاب في صور وأشكال مختلفة ومتنوعة، يمارسه أفراد ودول وجماعات، يظهر في شكل ثورات أو فتن أو جرائم أو حروب، ويستوي في الإصابة بهذا المرض العرب والعجم والأبيض والأسود والأحمر، يبتلى به الإنسان من حيث هو.

والمسلمون كغيرهم من البشر ضربهم هذا المرض في بعض الأزمنة ونجوا منه في أزمنة أخرى، عاش المسلمون عصورا من النهضة والازدهار وكانت دولهم وأرضهم تنعم بالأمن والأمان والسلم والسلام، وكانت أرض غيرهم فتن وتناحر وهمجية، يسودها التطرف الديني والعنصري والطبقي، فلا يصح أن يربط بين الإسلام وبين العنف أو الإرهاب الذي يصيب الإنسان المسلم وغيره على حد سواء.

وبناء عليه فإن الدعوة إلى مواجهة التطرف والإرهاب يجب أن تتكاتف فيها جهود الدول ومساعيها، ولا يتحمل عبئها بعضهم دون بعض، وذلك حتى تثمر المواجهة ويتجنب شرورها الإنسانُ حيث كان في أرجاء الأرض.

وكذلك يجب ألا تبرئ أمة نفسها من هذا المرض الخبيث، فتتنصل من المسئولية في مواجهته، وتتبرأ من تاريخ تفشت فيه تلك الظاهرة في أرضها وبين أهلها، ويجب ألا يفسر أمرُ مواجهة التطرف والإرهاب العالمي على أنه فرصة لاضطهاد أمة من الأمم أو شعب من الشعوب والعدوان على أهلها، أو تشويه ديانة من الديانات، بل يجب الاتفاق على أن الإرهاب مرض سرطاني

ينتقل من مكان إلى آخر، ومن فكر إلى آخر، يبرز في المجتمع الإنساني حينا بعد حين؛ يبدأ في موضع فيؤذي بقية المواضع، ومعالجته لا تعني استئصالا لكيانات أو أفكار أو دول.

وفي آخرة نسأل الله عز وجل أن يحفظ بلادنا وأمتنا والعالم أجمع من شرور التطرف والتعصب والعنف والإرهاب، وأن يهدي الإنسان للقيام بواجبات خلافته سبحانه بالعدل والقسط والسلام والأمان والعمران.

أ.د علي جمعة

تفكيك المحاور

وفيها: معيار لكشف التوجهات المتطرفة وبداية الانحراف الفكري لدى الشباب وغيرهم، فإذا رأى الوالدان أو قيادة العمل أو المدرس بمعاهد العلم على درجاتها المختلفة شيئا من هذه المكونات الشكلية أو السلوكية أو الشخصية أو المعرفية فليعلمْ أن هناك مشكلةً تحتاج إلى المبادرة لحلها.

أولا : المكونات الفكرية الشكلية

وهذه المكونات تتركز حول عشر من القضايا :

المكون الأول: أن حكام العالم الإسلامي جميعهم عملاء للاستعمار الغربي وخونة لشعوبهم الإسلامية، وهم يحكمون دولهم من أجل تحقيق مصالح الغرب ومن أجل تنفيذ مؤامرة صليبية تسعى للتبشير بين المسلمين.

وأنا أكاد أجزم من خلال تجربتي وخبرتي الشخصية أنه ليس هناك ثمة مؤامرة من العالم الخارجي ضد عموم الدول الإسلامية أو الإسلام، ولكن هي معركة دائمة دوام الأرض والسموات هي معركة الخير والشر، وهي معركة مصالح متضاربة ومتدافعة، والمؤامرة التي تحاك في الأرض دائما ضد أهل الحق فإنما يديرها ويدبرها الشيطان الرجيم، وهذا ما قاله تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) [الأعراف: ٢٤]

وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مؤامرة أو تدبير يعده الشيطان للأمة يخرج شررها أو قرنها من أرض نجد . وذلك في الحديث المتفق عليه في البخاري ومسلم أنه سئل عن أرض نجد فأشار إليها جهة المشرق وقال: **"هَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ**

يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ".[١]

فيجب على قادتنا وشعوبنا وأبنائنا ألا يجعلوا من نظرية المؤامرة عائقا يحول دون عملهم وسعيهم وإعمارهم للبلاد، فما المؤامرة إلا وهم ونسج من خيالات فاسدة، والتي روجها بيننا مغالطات أولئك المتطرفين، والغرب إنما يدافع عن مصالحه المادية، وهذا شأنه، ويجب علينا أيضا أن نتعلم معرفة مصالحنا والبحث عنها والدفاع عن تحقيقها واغتنامها، وهذا جزء من سنة الله في الحياة سنة التدافع بين الناس، وهذا التدافع هو الذي يثري الحياة ويدفعها نحو التنافس والبناء، وذلك على عكس ما يروج له التكفيريون من دعوى التخريب والدمار تحت اسم الجهاد أو التدافع.

وفي سياق التحدث عن هذا المحور نجد مصطفى مشهور المرشد الخامس لجماعة الإخوان المسلمين يحدث أتباعه عن حقيقة حكام بلادنا الإسلامية كما يتصورها ويروج بينهم، يقول: "خططوا لإبعادها- أي بلادنا - عن جوهر الإسلام، ونشروا فيها الفساد والمنكرات؛ كالخمر والميسر والربا والفحشاء، وأسقطوا الخلافة، وأثاروا الفرقة والنزاع بين المسلمين، بل الحروب حول قضايا جزئية؛ كالخلاف على الحدود، وأقاموا نظم حكمٍ شموليٍّ متسلطٍ في معظم - إن لم يكن كل- أقطارنا الإسلامية لتنفذ مخططاتهم التي تهدف إلى إبقاء بلادنا ضعيفة متنازعة.

وأما جماعة الجهاد فهي لا تعترف بادئ ذي بدء بشرعية حكام العالم الإسلامي كله ولا

---

١ - صحيح البخاري:ج٦/ص٢٥٩٨ ح٦٦٨٠، وصحيح مسلم:ج٤/ص٢٢٢٩ ح٢٩٠٥، وفي رواية لمسلم قال: "أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان، يمان والحكمة يمانية، رأس الكفر قبل المشرق". صحيح مسلم:ج١/ص٧٣ ح٥٢، وفيه مقارنة بين من جاء بالحكمة واللين والإيمان، ومن جاء بالغلظة والتكفير والسفه.

بأهليتهم للحكم، وتندد بتبعيتهم الشديدة للغرب، وتصفهم بأنهم دُمًى نصبها الاستعمار ليحكم بها الأمة الإسلامية، وأن هذه الدمى عبيد لأسيادها في واشنطن، وباريس، ولندن، وروما، وبون، وموسكو، وهم في رأيها لا يدينون بنشأتهم إلا إلى الغرب فحسب، بل إن استمرارهم في حد ذاته رهن بإرادة الغرب المباشرة. اهـ [٢]

ويعبر محمد عبد السلام فرج مؤسس تنظيم الجهاد في كتابه "الجهاد الفريضة الغائبة" عن ذات الفكرة، إلا أنه يحكم بشكل مباشر على حكام بلاد المسلمين بالردة عن الدين والخروج عنه يقول: فحكام هذا العصر في ردةٍ عن الإسلام تربوا على موائد الاستعمار؛ سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية، فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم. اهـ [٣]

ويحدثنا الإرهابي أبو بكر ناجي في كتابه "الخونة" المنشور بالإنترنت، عن صراع بين أطراف داخل دائرة الفكر المتطرف وكيف أن قادتها كانت تضع لها المغالطات، فهو يوجه اللوم والاستنكار لسفر الحوالي الذي طالما عمل معهم وتواصل ووضع لهم النظريات والاستراتيجيات، إلا أنه تملص منهم واستنكر بعد ذلك فيقول: "سفر الحوالي بالأمس يؤلف كتباً يبين فيها أن طواغيت العرب هم شر خطر على الأمة، وهم الذين بدلوا دين الله تعالى، وهم السبب في فساد الأمة وتغييبها وكبتها.

ويأتي اليوم مع الحكومات في خندق واحد يستهدفون العدو المشترك، ألم تؤصلوا لنا سابقاً أن هذه الحكومات هي دمى بأيدي العدو؟ ألم تقولوا لنا سابقاً بأن الاستعمار المباشر

---

٢ - نقلا عن بحث "الغرب في رؤية الحركة الإسلامية المصرية" لإبراهيم بيومي ، منشور على موقع موسوعة الإخوان المسلمين .

٣ - الفريضة الغائبة ص٦.

زال، وفرض علينا استعماراً غير مباشر عن طريق هذه الحكومات العميلة؟ ألم تحشوا رؤوسنا من قبل بأن أخطر خطر على الأمة هذه الحكومات التي تنفذ إرادة العدو؟ ألم لنا بأن هذه الحكومات حرب على الإسلام؟" اهـ.

ولقد تعرضت الدول الإسلامية في تاريخها لفترات زمنية عانت فيها من الضعف والوهن، فتناوشتها الأمم من الشرق والغرب، فقد هجم المغول على دول المشرق الإسلامي وأعملوا القتل والإبادة فيها، وسيطروا عليها سنوات حتى فرج الله الغمة بإسلامهم وبتصدي الجند المصري بقيادة قطز وبيبرس لهم في عين جالوت، ومن قبل ذلك تعرض العالم الإسلامي للحملات الصليبية وقد استولوا على بيت المقدس وكونوا إمارات مثل أنطاكيا والرها وبيت المقدس، حتى قيد الله لهذه الغمة الجند المصري بقيادة صلاح الدين الأيوبي فانتصر انتصارا حاسما في حطين، فانكسرت شوكة الاستعمار الغربي.

وفي العصر الحديث حط في بلادنا جيوش الإنكليز والفرنسيس والبرتغاليين والإيطاليين والإسبان والهولنديين وتكالبت علينا أوروبا كلها، ولكن ما لبث أن قاومت الشعوب وثارت وطردت هذا الاحتلال من بلادها، قاوم المصريون الإنكليز وكذلك فعل الجزائريون مع الفرنسيين، وجاهد الهنود الاستعمار البريطاني حتى تحرروا منه، ولكن الأمة مازالت في مرحلة الاستفاقة، ما زالت تعاني من الضعف والوهن، وهذا أمر لا ننكره لأنه واقع، فيجب علينا الاعتراف به والصبر عليه ومعالجته بأسلوب ناجح، وهذا الأمر قد يستغرق وقتا من الزمان، ذلك لأن الطفرة التكنولوجية والتقنية في صناعة الأسلحة والاتصالات والأقمار الصناعية والتي سبقنا بها الغرب، تحتاج منا مزيد عمل وجهد حتى نحصل ما فاتنا في فترة الاحتلال.

وعلينا أن نستمر في العمل والمقاومة والجهاد، والتصدي لمن يقفون في سبيل نهضتنا

ونجاحنا كما أمرنا تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

وأما ما يسعى فيه هؤلاء الإرهابيون المتطرفون من نشر الفوضى والعنف في بلاد الإسلام والتي صاروا يسمونها (التوحش)، ثم يعملون على إدراة ذلك التوحش، كل ذلك من أجل فرض سيطرتهم وسلطانهم على الشعوب الإسلامية، بدعوى تحريرها من حكم المرتدين الكافرين بزعمهم، وتطبيق شريعة الإسلام في أرضها، وكل ذلك كذب؛ فإنهم يطلبون السلطان، يبتغون الدنيا لا غير، وهم مخربون لا ينتج عن فعلهم هذا نهضة أو عمران أو تقدم، ولن تحقق الأمة غايتها أبدا بالفوضى والتوحش.

ويدل على ما أقوله قول أبي بكر ناجي في كتابه "إدارة التوحش": إن منطقة التوحش هي منطقة تخضع لقانون الغاب بصورته البدائية بحيث يتعطش أهلها الأخيار بل وعقلاء الأشرار لمن يدير هذا التوحش، بل ويقبلون أن يدير هذا التوحش أي تنظيم أخيارا كانوا أو أشرارا، إلا أن إدارة الأشرار لهذا التوحش من الممكن أن تحول المنطقة إلى مزيد من التوحش". ويوضح الأمر كثيرا قوله: إخراج المناطق التي اتخذ القرار بالتحرك المركز فيها من سيطرة الأنظمة، ومن ثم العمل على إدارة التوحش الذي سيحدث فيها، مع ملاحظة هنا أننا قلنا إن الهدف هو إخراج هذه المناطق من سيطرة أنظمة الردة وهو الهدف الذي نعلنه، ونعقد النية عليه ، لا إحداث الفوضى.أهـ[٤]

يعني أن إحداث الفوضى والتوحش وتحطيم النظام في المناطق التي يعقدون العزم على السيطرة عليها إنما هو الهدف الحقيقي الذي ربما يخفونه، ويعلنون أو يصدرون هدفا آخر وهو

---

٤ – "إدارة التوحش" أبو بكر ناجي ص ٣٢، طبع دار التمرد بسوريا ٢٠١٥.

إخراج هذه المناطق من سلطان الحكام المرتدين، أو من حكومة الطاغوت.

وليس بعد ذلك حقارة ونفاق يظهر هؤلاء التكفيرين المتطرفين على حقيقتهم، إنهم لا يسعون أبدا لتحرير شعوب المسلمين أو حكام المسلمين من سيطرة الغربي أو الصليبي أو الصهيوني، بالعمل الجاد والعلم النافع، والإعمار في الأرض، ولكنهم في الحقيقة يجهزون على الأمة ويحققون مآرب الاستعمار، في استكمال ركوع الأمة تحت أقدامهم.

وهذه الكائنات صارت في أمتنا كالفيروس الذي ما إن يتعافى الجسد ويهم بالنهوض، حتى يعملوا على تحطيمه وإردائه مرة أخرى، وبذلك لا يحتاج الغرب أو المستعمر أن يعمل فكره أو جهده أو ماله في تأخيرنا وإبقائنا في الذيل، حتى يستفيد من مواردنا بشكل كامل وبسعر بخس.

والذي يحسن الاستفادة والاستماع إلى ما جاء به البشير النذير المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيعلم جيدا أنه أخبرنا بمثل ذلك يحصل في المسلمين، حيث قال:

"سَأَلْتُ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِى بِسَنَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُلْبِسَهُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَبَى".

فالعدو الحقيقي للأمة هو من بيننا يتكلم بلساننا، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» . قال حذيفة: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا . قال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» . قال حذيفة: فَمَا تَأْمُرُنِى إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ

الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» .(٥)

وهؤلاء الخوارج لا توجه أسلحتهم إلا لأهل الإسلام.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري- رضى الله عنه – قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ – رضى الله عنه – إِلَى النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ: الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِىِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِىِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِىِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِى نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ الْعَامِرِىِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِى كِلاَبٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِى صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا. قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ» . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ، أَيَأْمَنُنِى اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِى» . فَسَأَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَتْلَهُ فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا – أَوْ فِى عَقِبِ هَذَا – قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» .(٦)

وهم لا يعرفون منهج التربية أو إزاحة الشر بالخير كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: ٢٢]

وكما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عَنْه أَبو ذَرٍّ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ».(٧)

---

٥ – صحيح البخاري: ١٣١٩/٣، رقم (٣٤١١)، صحيح مسلم: ١٤٧٥/٣، رقم (١٨٤٧).

٦ – صحيح البخاري: ٢٧٠٢/٦، رقم (٦٩٩٥)، صحيح مسلم: ٧٤١/٢، رقم (ح١٠٦٤).

٧ – سنن الترمذي:ج٤/ص٣٥٥ ح١٩٨٧.

المكون الثاني: أن حكام المسلمين وكذلك الشعوب رضيت بإسرائيل، وسلمت لها بيت المقدس، وأن الحكام يتبعون المؤامرة الصهيونية في تحقيق حلم إسرائيل في هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه، وكذلك تأسيس دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

يقول سيد قطب : فالمئات والألوف كانوا دسيسة على التراث الإسلامي، وما يزالون في صورة المستشرقين وتلاميذ المستشرقين الذين يشغلون مناصب القيادة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول أهلها: إنهم مسلمون. والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة في صورة أبطال مصنوعين على عين الصهيونية والصليبية، ليؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعداء أن يؤدوه ظاهرين!..

وإن لهذه القوى اليوم في أنحاء العالم الإسلامي جيشاً جراراً من العملاء في صورة أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين- وأحيانا كتاب وشعراء وفنانين وصحفيين- يحملون أسماء المسلمين، لأنهم انحدروا من سلالة مسلمة! وبعضهم من «علماء» المسلمين! هذا الجيش من العملاء موجه لخلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب، في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة. وتوهين قواعدها من الأساس، والتهوين من شأن العقيدة والشريعة سواء، وتأويلها وتحميلها ما لا تطيق، والدق المتصل على «رجعيتها»! والدعوة للتَّفلُّت منها، وإبعادها عن مجال الحياة إشفاقا عليها من الحياة أو إشفاقا على الحياة منها! وابتداع تصورات ومُثُلٍ وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها، وتزيين تلك التصورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات والمثل الإيمانية، وإطلاق الشهوات من عقالها وسحق القاعدة الخلقية التي تستوي عليها العقيدة النظيفة لتخر في الوحل الذي ينثرونه في الأرض نثراً! ويشوهون التاريخ كله ويحرفونه كما يحرفون النصوص، وهم بَعْدُ مسلمون، أليسوا يحملون أسماء المسلمين؟ وهم بهذه الأسماء المسلمة

يعلنون الإسلام وجه النهار، وبهذه المحاولات المجرمة يكفرون آخره. (٨)

ونحن لا ننكر أن يكون في الأمة أو في العالم الإسلامي الآن مثبطون أو منافقون، ولكن تبعا لما يظهر من كلام سيد قطب وتبعا لوجهة نظره فإن المجتمعات الإسلامية حكاما ومحكومين عملاء خاضعون لإسرائيل وللتدابير الصهيونية، إما بالاشتراك أو بالتبعية والخضوع والرضا والاستسلام.

وكل ذلك منه كذبٌ ومغالطاتٌ واضحةٌ، لأن المصريين كمثال وقفوا دائما ضد الخطة الصهيونية في المنطقة، وينطبق ذلك على الملك فاروق وعلى الضباط الأحرار ومن أتى بعدهم من رؤساء، وينطبق ذلك على السياسيين المصريين من النخبة، وعلى عموم الشعب، وعلى الجيش المصري، كلهم أجمعوا منذ تأسيس إسرائيل على مواجهتها، ظهر ذلك في توحد الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م، ثم في حرب ١٩٥٦م، نعم لم يتحقق النصر للعرب والمصريين في تلك الحرب، بل وتعرض الجيش المصري لضربات الصهاينة في نكسة ١٩٦٧م، ولكن أتبع ذلك النصر المبين في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

وقد شارك العرب جميعهم مع مصر في تلك المعركة إما بالجنود وإما بالمعدات وإما بالأموال، وإما بقطع الإمدادات النفطية عن حلفاء إسرائيل والوقوف في وجه أمريكا، أليس ذلك تاريخا قريبا، من ينكره؟ ومن يخدع الناس ويصرفهم عن معرفته أو الاستدلال به.

كيف يغفل هؤلاء عن الدماء الذكية التي قدمها الجيش المصري وغيره من العرب في مواجهة إسرائيل، كيف يصورون أنفسهم أبطالا في معركة لم يقدموا فيها شيئا، فإن المعارك القتالية التي يُدَّعَى أنها جهاد في سبيل الله لم توجه يوما لصد إسرائيل أو محاربتها، وإنما

٨ – في ظلال القرآن ١/ ٤١٤. طبعة دار الشروق ١٤١٢هـ.

ضحاياها جميعها من المسلمين، والدول التي خربوها وأسقطوها إنما هي دول إسلامية.

المكون الثالث: أن حكام دول الإسلام ضد الوحدة بين البلاد العربية ثم الإسلامية.

وهذا كلامٌ فاسدٌ مردودٌ عليه؛ فلقد حاولت مصر أن تتحد مع سوريا في الستينيات، وأن تتحد مع ليبيا، وأن تتحد مع السودان، وهناك كيانات موجودة بالفعل في العالم الإسلامي تجمع بين دولها وتوحد بينها، كمنظمة التعاون الخليجي، وكجامعة الدول العربية، ومنظمة العالم الإسلامي، وتجتهد الدول العربية في إزالة العوائق أمام الوحدة، وإنشاء سوق عربية موحدة وغير ذلك من الأفكار.

وهؤلاء الكذابون لو ينظرون إلى حقيقة أنفسهم فسيجدونها سببا جوهريا وعائقا حقيقيا أمام تحقيق هذه الوحدة، ويرون أنهم أكبر داع إلى التفريق والشرذمة، حيث جعلوا من الدين الموازي الذي ابتدعوه سببا في تقسيم الناس والدول على أساس ديني يصعب تجاوزه أو التغلب عليه.

مَنِ الذي أوقع الشقاق بين دول الخليج، أليسوا الإخوان ومن تبعهم؟ من الذي جعل قطر تخرج عن السرب والجماعة التي كانت تتخذ مواقف موحدة ومتآزرة وغير ذلك، ومَنِ الذي أوقع الشقاق بين تركيا وبين الدول العربية؟ أليسوا الإخوان ومن شاكلهم؟ صارت تركيا تنظر لنفسها بكبرياء وتعال على دولنا، وتعتبر نفسها راعية الإسلام وراعية المضطهدين والموحدين والمجاهدين، وتنكر تطرفهم وإرهابهم وخروجهم على أوطانهم وأنظمتهم ودعوتهم للفتنة والتخريب.

إن ما يقوم به المتطرفون هو عين تحطيم الوحدة وإنه عين ما يحول بين تحققها، بل إن تصرفاتهم تقوم على تفتيت أكثر وأكثر لدولنا الإسلامية والعربية لصالح الإمبريالية العالمية، وإذا نظرنا إلى حال هؤلاء المتطرفين لوجدناهم يعجزون عن تحقيق مواقف مشتركة أو وحدة فيما بينهم كفرقة أو جماعة صغيرة، مما يلفتنا إلى ما يمكن حدوثه لو تمكنوا من دول كبيرة من

تمزيق لها وتفتيت، وهذا عين ما حدث بسوريا، فما إن وقعت سيطرتهم على مدن كبيرة بها حتى صاروا مائة فرقة متنازعة متناحرة على السلطة وعلى الإيمان وعلى الدين وعلى الدنيا ووصل الأمر إلى الاقتتال والتحارب فيما بينهم.

هؤلاء يدعوننا إلى الوحدة وهم سبب جوهري في عدمها.

تجارب الوحدة بين الدول العربية والإسلامية متعددة منها:

١ - جامعة الدول العربية:

وتضم دولاً في آسيا وأفريقيا ، ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، ومن ضمنها العلاقات التجارية، والاتصالات، والعلاقات الثقافية، والجنسيات ووثائق وأذونات السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة، والمقر الدائم لجامعة الدول العربية يقع في القاهرة.

وتسهل الجامعة العربية إجراء برامج سياسية واقتصادية وثقافية وعلمية واجتماعية لتنمية مصالح العالم العربي من خلال مؤسساتٍ مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية، وتقوم الجامعة بدور تنسيق المواقف السياسية للدول الأعضاء، وتسوية بعض المنازعات العربية، كصراع أزمة لبنان عام ١٩٥٨م.

وأبرمت الجامعة عدة وثائق كوثيقة العمل الاقتصادي العربي المشترك، والتي تحدد مبادئ الأنشطة الاقتصادية في المنطقة، وقد وقعت بعض الدول العربية فيما بينها اتفاق الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي في ١٣ أبريل ١٩٥٠م ملزمة على تنسيق تدابير الدفاع العسكري.

وقد نشأت فكرة الجامعة منذ عام ١٩٤١م ثم تكونت في ٢٢ مارس ١٩٤٥م، وذلك قبل منظمة الأمم المتحدة بشهور، وبدأت بسبع دول عربية كانت تتمتع بالاستقلال السياسي وقتذاك، وهي : مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية، وشرق الأردن ، ولبنان ، والعراق، واليمن. إلى أن صارت (٢٢) دولة عربية.

٢ - الاتحاد العربي الهاشمي:

وتم في عام ١٩٥٨م وكان بين المملكة العراقية ممثلا له الملك فيصل الثاني ملك العراق

والمملكة الأردنية ممثلا لها الملك الحسين بن طلال ملك الأردن، وصار بينهما ما سمي بالفدرالية العربية للعراق والأردن، ورسم علم لذلك الاتحاد، ولكنه تفكك بسبب انقلاب الجيش العراقي.

٣ – الجمهورية العربية المتحدة.

وهو اتحاد بين مصر وسوريا تم في عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٦١ م، وصار الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة، وهذه الوحدة هي أهم التجارب لأنها صارت وحدة متكاملة، فقد أرسلت مصر تعزيزات عسكرية إلى سوريا لمساندتها ومؤازرتها ضد مخاطر حلف بغداد.

وصار لهذه الجمهورية علم به نجمتان تشيران إلى مصر وسوريا، وقد احتفظت الجمهورية العربية السورية بهذا العلم حتى بعد الانفصال وحتى اليوم.

٤ – اتحاد الجمهوريات العربية.

وكان بين سوريا ومصر وليبيا وذلك في عهد أنور السادات وحافظ الأسد ومعمر القذافي في ١٧ ابريل ١٩٧١ م، باعتبارها النواة الأساسية لتحقيق الوحدة الشاملة، واتخذ هذا الاتحاد من علم مصر ذي النسر منصوب الجناح علما له، واستمرت الوحدة بين مصر وسوريا حتى اشتركا في الحرب ضد إسرائيل في سنة ١٩٧٣م.

٥ – مجلس التعاون الخليجي

وهو متكون من ست دول عربية تطل على الخليج العربي، وهذه الدول هي: السعودية، الكويت، قطر، البحرين، الإمارات، وعمان.

ولكن هناك موافقة مبدأية لانضمام الأردن واليمن إلى مجلس التعاون الخليجي حيث تم ضم اليمن إلى بعض الهيئات والمؤسسات الخليجية كالصحة والرياضة والتعليم وبعض

الهيئات الاجتماعية ويجري العمل على ضم اليمن والأردن كلياً إلى مجلس التعاون الخليجي.

وهو مجلس للتعاون في المصالح الاقتصادية ويسعى المجلس لإنشاء عملة خليجية موحدة. ودعا الملك عبد الله بن عبد العزيز في كانون الثاني عام ٢٠١٢م إلى رفع مستوى التعاون بين دول المجلس إلى درجة الاتحاد.

٦ - مجلس التعاون العربي:

ضم الأردن ومصر والعراق واليمن الشمالي وكانت رئاسته دورية بين الملك حسين وحسني مبارك وصدام حسين وعلي عبد الله صالح، لكن انفرط بانقسام الدول في موقفها من حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م ، وكان الهدف الأساسي من هذا الاتحاد هو إبقاء شكل من التواصل مع مصر بعد خروجها من جامعة الدول العربية إثر توقيعها اتفاقية السلام مع إسرائيل بعد زيارة السادات الشهيرة للقدس، ولم يتم قبول عودة مصر مرة أخرى للجامعة والتي نقلت مقرها إلى تونس حتى حرب الخليج.

٧ - الجمهورية العربية الإسلامية:

وقد كانت بين ليبيا وتونس في عهد معمر القذافي والحبيب بورقيبة، وكان ذلك في ١٢ أبريل ١٩٧٤ وعرف ببيان جربة.

٨ - ميثاق طرابلس الوحدوي:

في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩ بين مصر - السودان - ليبيا.

٩- الوحدة الاندماجية بين ليبيا ومصر سنة ١٩٧٢م.

١٠- بيان حاسي مسعود الوحدوي. بين ليبيا والجزائر في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٥م.

١١ - الوحدة الاندماجية بين ليبيا وسوريا ١٩٨٢ م.

١٢ - الاتحاد بين الأردن وفلسطين ضمن المملكة الأردنية الهاشمية والذي انفرط بقرار

فك الارتباط.

١٣- الاتحاد العربي الأفريقي: في ١٨ أغسطس ١٩٨٤ بين ليبيا والمغرب وعرف ببيان وجدة الوحدوي.

١٤ - الجمهورية اليمنية: فقد ظل اليمن منقسما إلى دولتين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي إلا أن اليمن أعاد وحدته في عام ١٩٩٠ م.

١٥ - الإمارات العربية المتحدة: وهي عبارة عن اتحاد سبع إمارات عربية ضمن دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تتكون من أبوظبي، دبي، رأس الخيمة، الفجيرة، الشارقة، عجمان، وأخيرا أم القوين.

١٦ - اتحاد المغرب العربي:

وقد بدأ بتوقيع اتفاقية مراكش لاتحاد المغرب العربي في سنة ١٩٨٩م باعتباره مرحلة أولية نحو الوحدة العربية الشاملة.

١٧ - منظمة التعاون الإسلامي :

وكانت تعرف سابقاً باسم منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي منظمة دولية تجمع سبعا وخمسين دولة، وتصف المنظمة نفسها بأنها "الصوت الجماعي للعالم الإسلامي" وان كانت لا تضم كل الدول الإسلامية وتهدف لحماية المصالح الحيوية للمسلمين البالغ عددهم نحو ١,٦ مليار نسمة. وللمنظمة عضوية دائمة في الأمم المتحدة.

تأسست المنظمة في الرباط في ٢٥ أيلولم١٩٦٩ ، إذ عقد أول اجتماع بين زعماء العالم الإسلامي، بعد حريق الأقصى في ٢١ آب ١٩٦٩م حيث طرح وقتها مبادئ الدفاع عن شرف وكرامة المسلمين المتمثلة في القدس وقبة الصخرة، وذلك كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين جميع فئات المسلمين.

فمتى توقفت رغبة العرب والمسلمين حكاما وشعوبا في الوحدة والتعاون، وبعد رصد هذه التجارب والمحاولات التي أعاقتها ظروف ومصالح يتبين لك كذب الأوهام التي يعيش فيها هؤلاء المتطرفون.

المكون الرابع: أن بلاد الإسلام غاب عنها أو انعدمت فيها العدالة الاجتماعية والمساواة، ويقوم حكامها بنهب الثروات واحتكارها وتعذيب المسلمين واضطهادهم والتضييق عليهم.

يقول أبو بكر ناجي في كتابه "الخونة": الشعوب الإسلامية كسرت أجنحتها، ونهبت ثرواتها، وترزح تحت حكومات سَلَبَت منها كل شيءٍ حتى حق التعبير، والشعوب الإسلامية شعوب مُمْتَهَنَة، تحتاج إلى من يحررها من حكوماتها أولًا. اهـ

ويقول مصطفى مشهور: وأقاموا نظم حكم شمولي متسلط في معظم إن لم يكن كل أقطارنا الإسلامية، لتنفذ مخططاتهم التي تهدف إلى إبقاء بلادنا ضعيفة متنازعة يستغلون ثرواتها رخيصة ويوردونها مصنعة غالية، وهكذا لتبقي أقطارنا في تبعية ذليلة لهم بسبب عدم الاكتفاء الذاتي خاصة في الغذاء والسلاح فنخضع لأحكام العملاء مختارين أو مضطرين للسياسة التي يملونها عليهم، وفي ظل هذا الضعف والغثائية ساعد الأعداء على غرس هذا الكيان الصهيوني الغريب في قلب الأمة الإسلامية كالغدة السرطانية ليزيد من ضعفها وليتوسع ويتمكن ويعيث في الأرض فسادا".[٩]

وهذا أمرٌ باطلٌ وكذبٌ؛ فإن الدولة الحديثة أصبح فيها أجهزة رقابية ومؤسسات، وأصبح فيها مشاركة وتداول للمناصب والسلطات، وأصبح فيها مسئولية وقانونٌ ودستور، وإجراءاتٌ كثيرة تؤاخذ كل من تمتد يده إلى أموال الناس، أو تنهب ثروات الشعوب.

---

٩ – نقلا عن بحث "الغرب في رؤية الحركة الإسلامية المصرية" لإبراهيم بيومي ، منشور على موقع موسوعة الإخوان المسلمين .

وأما الاعتقالات السياسية والتعذيب في السجون، وهو الأمر الذي طال الإسلاميين والشيوعيين والاشتراكيين وغيرهم من طوائف المجتمع على حد سواء، وقاست تقلبات السياسة وويلاتها، ولا يصح أن يجعلوا من روح الانتقام أو المظلومية التي وقعت عليهم سببا في تدمير المجتمع ككل

والعجيب أن هؤلاء الإرهابيين الجبناء الذين لم يكونوا يوما مدافعين عن حقوق الأمة السليبة، وإنما عن مصالحهم الشخصية ومآربهم في الزعامة والسلطان، يصَدِّرُون أنفسهم على أنهم أبطال عانوا التعذيب والاعتقال من أجل قضية الوطن والدين، حيث وقفوا في وجه الحكام الظالمين المعتدين.

المكون الخامس: تكفير المجتمع لخروجه عن الحاكمية الإلهية، حيث زعموا أن دول الإسلام تحكم بغير ما أنزل الله، وأن الشعوب والحكام إذ رضوا بذلك في قوانينهم وأعرافهم الاجتماعية فقد كفروا بشريعة الله .

يقول أبو محمد المقدسي في كتابه "ملة إبراهيم": جميع الحكومات التي لا تطبق الشريعة الإسلامية، حتى الديمقراطية، كافرة ومرتدة، وليعلموا جيداً، بعد أن بُيّن له أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر.. وعلم بأنه لا يجوز له الحكم بغير شريعة الله.. ولكنه برغم ذلك يصر ويستكبر.. وإن كان في ظاهره في كثير من المناسبات يضحك على أذقان المساكين بوعوده الفارغة الكاذبة وكلماته المعسولة وحججه الواهية الزائفة.. ولسان حاله يكذب مقاله. وذلك بإقراره وسكوته عن ازدياد الكفر والفساد في البلاد والعباد يوماً بعد يوم.. وتشديده على الدعاة والمؤمنين، وتضييقه على المصلحين ورصده لهم بأجهزة مخابراته وشرطته.. وتوسيعه في الوقت ذاته على كل محارب لدين الله، وتسهيل وسائل الفساد والإفساد لأعداء الله بل وتسخير وسائل الإعلام لهم ولفسادهم ولإلحادهم.. وإصدار القوانين واللوائح التي تعاقب كل من تهجم على عيشه العصري الوضعي الشركي أو أعلن الكفر والبراءة منه أو تنقصه أو بيّن باطله للناس.. وإصراره على إبقائه الحاكم الذي يفصل بين العباد في دمائهم وأموالهم وفروجهم، رغم ما هو مشحون به من الكفر البواح.. وعدم استسلامه لشرع الله وتحكيمه مع علمه بوجوب ذلك ومطالبة المصلحين به.. فمثل هذا لا تجوز مداهنته أو مهادنته أو مجاملته أو تبجيله بألقابه أو تهنئته بالأعياد والمناسبات أو إظهار الولاء له أو لحكومته.. بل لا يقال له إلا كما قال إبراهيم والذين معه لقومهم: إنا برءاء منك ومن دستورك وقوانينك الشركية وحكومتك الكفرية.. كفرنا بكم.. وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى ترجعوا إلى الله وتستسلموا وتنقادوا لشرعه وحده..

ويدخل في ذلك أيضاً التحذير من موالاتهم ومن الدخول في طاعتهم والاطمئنان إليهم والمشي في ركابهم وتكثير سوادهم عن طريق الوظائف التي تعينهم على باطلهم أو تثبت حكوماتهم وتحفظ أو تنفذ قوانينهم الباطلة كالجيش والشرطة والمباحث وغير ذلك. أهـ[١٠]

ويقول محمد عبد السلام في "الفريضة الغائبة":

والأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام الكفر بل هي قوانين وضعها كفار، وسيروا عليها المسلمين، ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤]

فحكام هذا العصر في ردة عن الإسلام تربوا على موائد الاستعمار، سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية. فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم.

ويستشهد محمد عبد السلام بقول ابن تيمية: كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين.

ويرتب عليه كفر الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، ويفسر قوله صلى الله عليه وسلم: "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان". يقول: وبواحاً : أي ظاهرا. والمراد بالكفر هنا المعاصي، معنى "عندكم من الله فيه برهان" : أن تعلمونه من دين الله. أهـ[١١]

وذهب يستدل من ذلك على وجوب أمرين في منتهى الخطورة : الأول: الخروج على الحاكم

---

١٠ - وهو منشور بالانترنت يمكن مراجعة موقع المؤلف: www.tawhed.ws - http://www.almaqdese.net .

١١ - الفريضة الغائبة ص١٥.

الكافر أو المرتد أو المبتدع أو الفاسق. والثاني: وجوب قتاله ومن والاه على أنه العدو القريب وقتاله أولى من العدو البعيد.

وزين الشيطان الرجيم في ذهن هذا المتطرف أن قتل السادات وإراقة دمه أحب إلى الله وأولى من التوجه بالقتال ضد إسرائيل، لأن السادات هو العدو القريب من وجهة نظرهم الفاسدة، وإسرائيل هي العدو البعيد.

ويشير أبو قتادة الفلسطيني في كتابه الجهاد والاجتهاد إلى ضلال الألباني. من وجهة نظره. حيث حاد عن الطريق المستقيم الذي قد ألفوه عليه، يقول: وهذا الذي قال الألباني خطير جدا، حيث جعل أمر تكفير الحكام أو عدم تكفيرهم أمر لا يهمه في كثير أو قليل، وأنا يأخذني العجب من هذا القول الخطير، وكأن أمر التكفير وعدمه أمر لا قيمة له في نفس الألباني، ونفوس تلاميذه، وأما قوله :إن الذي يكفر هو الذي ينكر ما شرع الله تعالى . فينبغي تقييدها في المعاصي غير المكفرة، أما المكفرة فقد بينا أن اشتراط الجحد فيها للتكفير هو عقيدة أهل الإرجاء . أهـ[١٢]

انظر كيف تتقلب هذه الجماعات على بعضها ويكفرون بعضهم بعضا، ولو جعل لهم سلطان ولو قليل، سيحكمون على بعضهم بالردة وسيقتل بعضهم بعضا، إن أبا قتادة يرمي الألباني وتلامذته بالإرجاء، والإرجاء في نظره بدعة مكفرة، فالألباني بذلك يستوي عنده مع بقية المرجئين (أي المرتدين) من الشعوب.

وقد رددنا على هذه المغالطة في كتاب أسميناه "التجربة المصرية"[١٣] وقد عرضنا فيه

---

١٢ – منشور بالانترنت ويمكن مراجعة موقع : إحياء الفريضة الغائبة أو قناديل.

١٣ – طبع دار نهضة مصر ضمن سلسلة "في التنوير الإسلامي ٨٥" سنة ٢٠٠٨م.

تجربة المصريين في تقنين الشريعة، والاحتكام إليها، وخلصنا منه إلى أن الدولة المصرية الحديثة منذ إنشائها وهي تتحرى أحكام الشريعة الإسلامية لا تخرج عنها، وأن الدساتير المصرية نصت جميعها على ذلك، فمن أين لهذا المتطرف أن يرمي الناس بالكفر والاحتكام إلى إلى شريعة غير الإسلام.

فالخديو إسماعيل كان حريصا على البعد عن الدولة العثمانية والتي قننت الشريعة الإسلامية في صورة المجلة العدلية، الصادرة سنة ١٢٩٠هـ، على المذهب الحنفي، فقد فكر في عدة احتمالات، وكلها لا تخرج عن الشرع الإسلامي، واستقر الأمر على تقريب القانون الفرنسي ومراجعته على وفق ما جاء في المذهب المالكي، فأمر الشيخ مخلوف المنياوي مفتي الصعيد أن يراجع ما ترجمه رفاعة الطهطاوي، فكتب تقريرا واسعا استفاض فيه حتى صار كتابًا طبع الآن في مجلدين بمصر، تحت عنوان (المقارنات التشريعية) قارن فيه بين القانون الفرنسي، والشريعة الإسلامية، والمذهب المالكي على وجه الخصوص، ووجد مخالفات قليلة، إلا أن هذا العمل لم يلتفت إليه، وظل حبيسًا بدار الكتب المصرية إلى أن نشره الأستاذ الدكتور محمد سراج عبد الهادي، وشاركه على استحياء كاتب هذا البحث.

ولما تولى محمد قدري باشا وزارة الحقانية (العدل) وضع تقنينا على مذهب الحنفية يوازي المجلة العدلية، ويستفيد منها، في كتابه الكبير (الأحوال الشخصية) في أربع مجلدات، وفي كتابه (دليل الحيران في معرفة أحوال الإنسان) وفي كتابه (العدل والإنصاف في أحكام الأوقاف) .

وبدأت حركة التمصير مع عبد الرزاق السنهوري باشا، الذي وضع القانون المدني المصري، ومع صبري أبو علم الذي وضع القانون الجنائي المصري، وهي المجموعات التي انتهوا منها وصدرت وعمل بها من سنة ١٩٤٩م وحتى يومنا هذا، بغض النظر على

التعديلات الجزئية.

أما السنهوري باشا فقد شرح القانون المدني في كتاب ماتع مطول أسماه (الوسيط) صدر في عشرة أجزاء، بين فيه مأخذ كل مادة من الشريعة الإسلامية، أو في صياغتها، أو في موضوعها، من ستة عشر تشريعا مختلفا، من التشريع الهندي، والبلجكي، والإيطالي، والفرنسي-... إلى آخر ذلك. وهو ما يدل دلالة واضحة -بل أكاد أن أقول دلالة قطعية- على ذلك التوجه الذي أراده هؤلاء الآباء من عدم الانسلاخ من الشريعة ومن وضع أقدامنا في موطئ قدم في الخريطة العالمية.

والسنهوري باشا نفسه وضع التشريع العراقي، والتشريع الأردني وتوجه بهما أكثر نحو الشريعة الإسلامية بصورتها الموروثة.[١٤]

---

(١٤) راجع الملحق الأول عن الحاكمية في بلادنا للشريعة الإسلامية ومحاولات تقنين الشريعة.

المكون السادس: أن الدول الإسلامية أو حكامها يرفضون الخلافة ويقفون أمام إعادتها للوجود مرة أخرى!

يقول محمد عبد السلام فرج في "الفريضة الغائبة":

ولقد أجمع المسلمون على فرضية إقامة الخلافة الإسلامية وإعلان الخلافة يعتمد على وجود النواة وهي الدولة الإسلامية ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية فعلى كل مسلم السعي لإعادة الخلافة بجد لكيلا يقع تحت طائلة الحديث، والمقصود بالبيعة بيعة الخلافة. (١٥)

ويقول أبو محمد المقدسي في "ملة إبراهيم":

موجبات حركات الجهاد في ديار الردة فهي:

إعادة العقد الجامع لشتات المسلمين، أي دولة الخلافة الضائعة : فلما سقطت الخلافة انفرط عقد الأمة، فلم تعد تستحق اسم الأمة، نعم هناك مسلمون في أرض الشتات، وهناك عباد وقوام، وزوامل علم وحجاج، وذاكرون وذاكرات، ولكن كل هؤلاء لا يدخلون أبدا في مسمى الأمة، فلا يوجد هناك أمة إسلامية، لأن أول مقومات الأمة لا توجد بين هذه الحبات المتناثرة بلا ضابط، ولا حبل جامع، ونعني بها وجود الدولة، فليس للمسلمين دولة ولا شوكة ممكنة، ولا منعة حافظة، وقد بذل الكفر جهودا متتالية في دفع دولة الخلافة وإسقاطها، كر المرة تلو المرة، حتى كان له ما أراد، ولكن والحق يقال :إن العوامل الداخلية في دار الإسلام، عوامل الهزيمة والانحطاط، هي السبب الرئيسي لإسقاط هذه الدولة، فليس ما عمله الكفار بمعادل ما عملته الأمة بنفسها، ومن

---

١٥ – الفريضة الغائبة ص٤.

أهم هذه العوامل :فساد التصور العقدي، إذ انتشرت في الأمة جرثومة الصوفية، التي ما دخلت في أمة من الأمم إلا جعلتها أثرا بعد عين، الصوفية التي شغلت الناس في الوصول إلى حالة العرفان والجذبة، فأرهقت المرء المسلم في سعيه لهذه الخيالات وعطلت المسلم عن البحث والنظر، لأن الصوفي يظن أنه بمجرد وصوله لهذه المرتبة سيدرك حقائق الأشياء، وسر الكون، فلا ضرورة إذن للسعي والجد في اكتشاف سنن الكون والحياة، لأن الصوفية تؤمن أنه بمجرد كون الرجل وليا عارفا فإنه سيملك ناصية هذا الكون، فيتحكم في سننه من أمراض وظواهر كونية من ماء ونار ومطر ورعد، وسيكون مالكا لإكسير الحياة وسر الأشياء.

ويقول أيضا: بعد أن سقطت الخلافة الإسلامية، وانفرط عقد الجماعة، دخل أهل السنة في إشكالية ما تزال تعتبر معوقا لهم عن بلوغ أهدافهم أو التقدم نحوها، هذه الإشكالية هي معضلة الجماعة وشرعيتها، وما هي قوة الإلزام في انضمام المرء لها.

كان أهل السنة يعتبرون أنه بمجرد وجودهم تحت راية إمام ممكَّن، يدينون له بالطاعة والولاء، ويمتثلون أمره هم داخلون تحت اسم الجماعة، فلم يكونوا بحاجة إلى بحث هذا الإشكال إلى مستوى أوسع مما هي عليه، ولضيق هذا الفهم وعدم شموليته، ولبعده عن الفهم الصحيح عن مفهوم الجماعة كما هو معروض بالشرع وكما فهمه السلف، فإنه بمجرد سقوط هذا الرابط العام (الخلافة) حار أهل السنة في حل هذا الإشكال وما زالوا في حيرة إلى الآن. أهـ

وكل هذه الأكاذيب والمغالطات الهدف منها نزع انتماء الفرد المسلم من الدولة التي يحيا فيها حتى يتحقق انتماؤه إلى الجماعة الموازية التي يصورونها في ذهنه مرحلة وسطى أو مؤقتة أو خطوة على طريق الانتماء إلى دولة الخلافة العظمى، وأن بيعة المسلم لأمير هذه الجماعات

الضالة هو الذي يحل رقبته من إثم الموت وليس في رقبته بيعة، فيموت ميتة جاهلية، كأولئك الذين يموتون وفي رقبتهم بيعة فاسدة لحاكم كافر فاسق.

وما يروجونه للناس كذب ووهم، فإن المسلمين أجمعين حكاما ومحكومين علماء وعوام، يرغبون في وحدة المسلمين ويحلمون بدولة الخلافة الإسلامية الراشدة التي بشر بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دولة المهدي الذي يقيم العدل بالأرض، ولكن الفرق بين المسلمين في عمومهم وهؤلاء المتطرفين، أن المسلمين أدركوا أن الأحلام إن كانت قابلة للتطبيق فهي تحتاج لإدراك الواقع المعيش والتعايش معه، ومن ثم الاستفادة مما فيه قدر الإمكان، وأما المتطرفون فهم يرون في تدمير الواقع المعيش ورفض التعايش معه، والانصراف عن الاستفادة منه، هو الطريق الوحيد الذي سيجعل أحلامهم تتحقق.

فقد سعى المسلمون، ومنذ أن أعلن كمال أتاتورك عن سقوط الخلافة في ١٩٢٤م، إلى إعادة رابطتهم وعقدهم، فقد اجتمعوا في مؤتمرين كبيرين: الأول في القاهرة سنة ١٩٢٥م، وقد صدر عن هذا المؤتمر مجلة طبعت باسم "مجلة الخلافة بمصر". والثاني مؤتمر الخلافة بالهند، ولكن للأسف فكلا المؤتمرين قد فشل فشلا ذريعا، نظرا لعدم استعداد الدول وتهيؤها لأمر الوحدة مرة أخرى في عقد كعقد الخلافة.

ولقد قدم الدكتور السنهوري باشا من خلال رسالته للدكتوراه التي تقدم بها إلى السربون دعوة إلى مؤسسة بديلة يمكنها أن تحل محل الخلافة الإسلامية بشكل فعلي، يتفق عليه جميع الدول الإسلامية .

وطرح فكرة "عصبة الأمم الشرقية"؛ وهو اقترح بإنشاء منظمة دولية تكون أداة للتقارب بين الدول الإسلامية المستقلة تعمل على تنمية الروابط بين شعوبها، وتتولى تقديم المساعدة للشعوب التي تطالب باستقلالها وترغب في المحافظة على علاقاتها التاريخية والعقدية

والثقافية مع الأقطار الإسلامية المستقلة.

وتمحورت فكرة السنهوري في إنشاء منظمتين: إحداهما تكون دينية، وتهدف إلى تشجيع الحركة العلمية للنهوض بالشريعة الإسلامية باعتبارها أساس وحدة الأمة، وتجمع الثانية الدول الإسلامية من الناحية السياسية والاقتصادية وتكون أداة للتعاون فيما بينها.

ومن هنا يتضح أن المسلمين وحكامهم لم يزهدوا في الخلافة أو يرفضوها ولم يقفوا ضدها بل هم يبحثون في الطريقة المثلى أو المتاحة أو الواقعية لإعادتها.

المكون السابع: أنهم هم المجاهدون في سبيل الله وأن بقية المسلمين حكاما ومحكومين فرطوا في فريضة الله وذروة سنام الإسلام.

وهذا كذب ووهم وتلبيس في دين الله، حيث إنهم جهلوا مفهوم الجهاد الصحيح، وتبنوا مفاهيم مختلة وفاسدة. وجهلوا شروط الجهاد وأهمها أن يكون تحت رآية، فقد نهانا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد تحت الراية العمية العصبية، التي تدمر ولا تعمر، حيث قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِى وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِى عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى بِذِى عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّى».[١٦]

وأما المتطرفون الذين اختزلوا مفهوم الجهاد وقصروه على القتال المسلح فانطلقوا تحت راية عمية عصبية يسفكون الدماء ويزهقون الأرواح بغير وعي ولا يدري القاتل فيما قَتَل ولا يدري المقتول فيما قُتِل، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَدْرِى الْقَاتِلُ فِى أَىِّ شَىْءٍ قَتَلَ، وَلاَ يَدْرِى الْمَقْتُولُ عَلَى أَىِّ شَىْءٍ قُتِلَ».[١٧]

وانظر كيف يرى محمد عبد السلام فرج خروج الجنود المصريين من أبناء القرى والنجوع والمدن المصرية للجهاد ضد إسرائيل التي أغارت على بلادهم واغتصبت أرضهم وأراقت دمائهم، يرى أن المسلم من أبناء المصريين لا يخرج في هذا الجهاد إلا مكرها، وإن خرج مُكْرَهًا فلا يقاتل، ولنسأل محمد عبد السلام ما السبب في ذلك:

١٦ - صحيح مسلم: ٣/١٤٧٧، رقم (١٨٤٨).

١٧ - صحيح مسلم: ٤/٢٢٣١، رقم (٢٩٠٨).

يقول: إن دماء للمسلمين ستنزف حتى وإن تحقق النصر، فالسؤال الآن هل هذا النصر لصالح الدولة الإسلامية القائمة؟ أم أن هذا النصر هو لصالح الحكم الكافر وهو تثبيت لأركان الدولة الخارجة عن شرع الله، وهؤلاء الحكام إنما ينتهزون فرصة أفكار هؤلاء المسلمين الوطنية في تحقيق أغراضهم الغير إسلامية وإن كان ظاهرها الإسلام ، فالقتال يجب أن يكون تحت راية مسلمة وقيادة مسلمة ولا خلاف في ذلك.

وإن أساس وجود الاستعمار في بلاد الإسلام هم هؤلاء الحكام، فالبدء بالقضاء على الاستعمار هو عمل غير مجدي وغير مفيد وما هو إلا مضيعة للوقت، فعلينا أن نركز على قضيتنا الإسلامية وهي إقامة شرع الله أولاً في بلادنا وجعل كلمة الله هي العليا، فلا شك أن ميدان الجهاد هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدالها بالنظام الإسلامي الكامل ومن هنا تكون الانطلاقة .أهـ[١٨]

وابن تيمية يقول: فَإِنَّهُ لَا يَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ طَوْعًا مِنْ الْمُظْهِرِينَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ زِنْدِيقٌ أَوْ فَاسِقٌ فَاجِرٌ، وَمَنْ أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مُكْرَهًا فَإِنَّهُ يُبْعَثُ عَلَى نِيَّتِهِ، وَنَحْنُ عَلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَ الْعَسْكَرَ جَمِيعَهُ إِذْ لَا يَتَمَيَّزُ الْمُكْرَهُ مِنْ غَيْرِهِ.[١٩]

والغريب أن الكتاب اسمه الجهاد الفريضة الغائبة وكان من المفترض أنه يدعونا كاتبه للجهاد الذي ضيعناه أو غيبناه، ولكنه يدعونا للإحجام عن جهاد العدو الخارجي (يعني إسرائيل) حتى نقتل الحكام الكفرة ونتمكن من إقامة الخلافة الإسلامية، وحتى ذلك الحين فليقتل بعضنا بعضا ويهلك بعضنا بعضا، فهل يحق أو يجوز لنا أن نتهم هذا المتطرف أنه

١٨ – الفريضة الغائبة ص١٥.

١٩ -- مجموع الفتاوى (المسألة التتارية) ٢٨/٥٣٥.

يدعونا لذلك ضمن مؤامرة حيكت لجيشنا ولبلادنا، لتصدنا عن إسرائيل، ولتشغلنا ببعضنا، كما يدعونا هذا المجرم.

وهؤلاء النابتة من المتطرفين يدعون الشباب إلى الهجوم على القتال دون رؤية واضحة ودون علم بشروط الجهاد وآدابه وأهدافه ومتى يبدأ ومتى يتوقف وغير ذلك، فالعلم عندهم يأتي في مرحلة متأخرة، يقول محمد عبد السلام:

وحد العلوم أن من علم فرضية الصلاة فعليه أن يصلي ومن علم فرضية الصيام فعليه أن يصوم كذلك من علم فرضية الجهاد ، فعليه أن يجاهد ومن يحتج بعدم علمه بأحكام الجهاد فعليه أن يعرف أحكام الإسلام سهلة وميسرة، لمن أخلص النية لله، فعلى هذا أن ينوي الجهاد في سبيل الله وبعد ذلك فأحكام الجهاد تدرس بسهولة ويسر وفي وقت قصير .. قصير جداً، والأمر لا يحتاج إلى كثير من الدراسة، ومن أراد أن يزداد من العلم فوق هذا الحد فليس هناك حكر على العلم فالعلم متاح للجميع، أما تأخير الجهاد بحجة طلب العلم فتلك حجة من لا حجة له، وهناك مجاهدون منذ بداية دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهود التابعين حتى عصور قريبة لم يكونوا علماء وفتح الله على أيديهم أمصار كثيرة، ولم يحتجوا بطلب العلم أو بمعرفة علم الحديث وأصول الفقه بل إن الله سبحانه وتعالى جعل على أيديهم نصرا للإسلام، لم يقم به علماء الأزهر يوم أن دخل نابليون وجنوده الأزهر بالخيل والنعال. أهـ[٢٠]

وفي نفس الإطار يقول سيد قطب: إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة، والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا

---

٢٠ – الفريضة الغائبة ص١٤.

الزمان لكي يستنبطوا منها أحكاما فقهية " يجددون " بها الفقه الإسلامي أو" يطورونه" وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت، هؤلاء لا طبيعة هذا الدين، ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين.[٢١]

وهذه كارثة حيث يدعو هؤلاء أتباعهم إلى فعل ما نهى عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما نؤكد عليه دوما أن ضلال تلك الفرق والجماعات هو تركهم للمحجة البيضاء الناصعة التي تركنا عليها رسول الله، فهو ينهانا عن القتال تحت راية عمية ، وهؤلاء أصحاب الدين الموازي يدعون الشباب إلى القتال تحت راية عمياء صماء بكماء، وقوع اللسان فيها كوقوع السيف، وهي راية الفوضى وهي راية التوحش والدمار.

٢١ - في ظلال القرآن ٣/١٧٣٥.

المكون الثامن: إفسادهم لعقيدة التوحيدبتقسيم التوحيد إلى أقسامٍ ثلاثة: ألوهية وربوبية وصفات، وكانت تلك الخطوة الأولى في تكفير عامة المسلمين ، فراحوا يصنفون الناس ويعرضونهم على هذا التوحيد الموازي المثلث الذي ابتدعوه، فصار المسلمون في ميزانهم كفارا.وهي من البدع التي قال بها ابن تيمية.

يقول عبد اللطيف بن عبد الرحمن في "الدرر السنية":

والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد، ولكنه يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم؛ فيكون متبعًا لهواه داخلًا من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه، تاركًا من التوحيد أصولًا وشعبًا لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه، فلا يحب ولا يبغض لله، ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسوّاه، وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله. اهـ[٢٢]

ويقول حمد بن عتيق في كتابه "سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك":
إن كثيرًا من الناس قد يظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات الخمس ولا يرد عن المسجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط.

واعلم أن الكفر له أنواعٌ وأقسامٌ بتعدد المكفرات، وكل طائفةٍ من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوعٌ منه، ولا يكون المسلم مظهرًا لدينه حتى يخالف كل طائفةٍ بما اشتهر عندها ويصرح لها بعداوته والبراءة منه.اهـ[٢٣]

---

٢٢ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٨/٣٩٦. الطبعة السادسة.

٢٣ - سبيل النجاة والفكاك مجموعة التوحيد ١/٣٦٦-٣٦٧.

ولقد رد عليهم العربي التَّبَّاني في كتابه "براءة الأشعريين من عقائد المخالفين"، وبين بدعية تقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وأوضح أن ذلك سبيل اتخذه هؤلاء لتكفير المسلمين وتفسيقهم.

وقد قال في مقدمة كتابه: الحمد لله الهادي عباده إلى الطريق الأقوم، المتفضل عليهم بنعمة الإسلام ودقائق الحكم، الناهي لهم عن التنازع في كتابه المحكم، والصلاة والسلام على أشرف مبعوث إلى جميع الأمم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: **"إن أمتي لا تجتمع على ضلالة؛ فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم".** وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء لكل فصيح وأعجم.

أما بعد: فهذه خلاصة علمية في عقائد محمد بن عبد الوهاب ومقلِّديه جمعت أكثر درّها المنقول والمعقول من تحقيق علماء الإسلام الأعلام، وشيدت صرحها بتاريخ الإسلام، ودعمتها بكثير من آيات الكتاب الحكيم وسنته عليه الصلاة والسلام، فجاءت بحمد الله حصناً منيعاً لا يرام.

وقد رد بعض أتباع الأئمة الأربعة عليه وعلى مقلِّديه بتآليف كثيرة جيدة، وممن رد عليه من الحنابلة: أخوه سليمان بن عبد الوهاب، ومن حنابلة الشام آل الشطي ،والشيخ عبد الله القدومي النابلسي في رحلته، وكلها مطبوعة، في ناحيتين: زيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والتوسل به وبالصالحين من أمته. وقالوا: إنه مع مقلِّديه من الخوارج.

وممن نص على هذا العلامة المحقق السيد محمد أمين بن عابدين في حاشيته "رد المحتار على الدر المختار " في باب: "البغاة"، والشيخ الصاوي المصري في حاشيته على الجلالين، لتكفيره أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) برأيه، ولا شك أن التكفير سِمَة الخوارج وكل المبتدعة الذين يُكفِّرون مخالفي رأيهم من أهل القبلة.

ولا تفيد هذه الخلاصة مَن مرق إلى الجهة الأخرى، لأن العلماء قالوا: إن البدعة إذا رسخت في قلبٍ لا يرجع صاحبها عنها، ولو رأى ألف دليل واضح وضوح الشمس يبطلها، إلا إذا أدركته عناية الله، وإنما هي عاصمة إن شاء الله تعالى من لم يدخل في بدعهم.

وتنحصر أمهات عقائد محمد بن عبد الوهاب ومقلديه في أربع: تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه، وتوحيد الألوهية والربوبية، وعدم توقيرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وتكفير المسلمين.

وهو مقلد فيها كلها أحمد ابن تيمية، وهذا مقلد في الأولى الكرامية ومجسمة الحنابلة، ومقتد بهما وبالحروريين في الرابعة، ومخترع توحيد الألوهية والربوبية الذي تفرع عنه عدم توقيرهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكفير المسلمين أيضاً هو ابن تيمية.

وثقة نقل دين الإسلام محصورة عندهم فيه وفي تلميذه ابن القيم وفي محمد بن عبد الوهاب، فلا يثقون بأي عالم من علماء المسلمين ولا يقيمون له وزناً إلا إذا وجدوا في كلامه شبهة تؤيد هواهم، فدين الإسلام الواسع محصور علماؤه في الثلاثة، وأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المرحومة المنتشرة منذ توسع الفتح الإسلامي في خلافة ذي النورين عثمان رضي الله تعالى عنه إلى عصرنا هذا في أكثر الربع العامر وهي أكثر الأمم جميعاً أحبارا ومؤلفين، وهي أيضاً ثلثا أهل الجنة كما في الحديث الصحيح محصورة فيهم وفي علمائهم الثلاثة، وكل من له إلمام بالعلم وطالع تآليف ابن القيم ورسائل ابن عبد الوهاب مجرداً نفسه عن العاطفة متحلياً بالإنصاف يجدهما مقلِّدَيْنِ ابن تيمية في فهمه كله، مُؤلِّهَيْنِ هواه، ممتازاً أولهما: بالمدافعة عن شواذ شيخه مدافعة معتوه، وما أجاد فيه الكتابة من الأبحاث العلمية أخذه من تحقيق من سبقه من علماء المسلمين وتشبع به ولم يُعزِهِ إلى محققيه (كما هي أمانة نقل العلم عن العلماء)

والقارىء البسيط يظن تلك الإجادة منه، وإنما هو جَمَّاعة مطلع مقلد في جل الفروع الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه، وفي بعضها وفي أصول الدين أحمد بن تيمية متعصب لهما تعصباً جنونياً.

وابن عبد الوهاب نشأ في محيط عوام فانتحل شواذ ابن تيمية على ما فيها من تضارب وتخبط والتهمها فصار بها إماماً مجتهداً مجدداً معصوماً فهمه وكلامه عن الخطأ، مؤمناً موحداً كل من قلده، جهمياً مشركاً كل ما خالف هواه، فيخرج بنتيجة واحدة وهي أن علم أصول الدين على غزارة مادته وكثرة مباحثه وبعض الفروع محصور في فهم أحمد ابن تيمية، وفهمه معصوم من الخطأ، وكلامه عندهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلماء الإسلام الأولون والآخرون على كثرتهم ممثلون في شخصه، وحيث صار إماماً قدوة للمفتونين به مع كونه من الخلف توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

فإني سأنقل بحول الله تعالى وقوته كلامه في الأمهات الأربع من كتبه ورسائله ليراه الألباء (جمع لبيب) فيتحققوا شذوذه عن السواد الأعظم، ثم أبطله مفصلاً بالبراهين، وسيأتي شرح حال كل من الثلاثة.أهـ

المكون التاسع : بدعة النُّصرة والتمكين؛ وهذه البدعة جعلتهم يرون ضرورة الاصطدام مع الأمم جميعها والحضارات كلها، ظنا بأن الله وعدهم بالنصر على الخلق أجمعين.

يقول أبو قتادة الفلسطيني في كتابه "الجهاد والاجتهاد":

هناك قاعدة، نستمدها من مجموع بعض الآيات والأحاديث في موضوع تحقيق عبودية الله في النفس الإنسانية، هذه القاعدة هي :لا عبودية بغير تمكين . ولا مغفرة من غير فتح . ولا فتح بلا شهادة.

١- لا عبودية بغير تمكين : استقر في أذهان المسلمين في هذه الأيام أن عبوديتهم لله تتحقق بمثل ما يقومون به من أعمال تعبدية فردية، فهم يصلون ويصومون ويحجون، ويذكرون الله كثيرا، وإذا حدثتهم عن مهمة الإسلام العظمى وهي بسط سلطان الله في الأرض، وتمكين دين الله في الوجود، عدوا ذلك من نافلة القول في موضوع العبودية، بل قد وصل الأمر ببعض (الأذكياء) أن يعد الحديث عن هذا الأمر (أي الحاكمية) هو حديث الباحثين عن الشهوة في الحكم، فهذا سلفي مزعوم وهو الدكتور ربيع المدخلي في كتابه" منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله"، يقرر أن الإمامة ليست من قواعد أهل السنة والجماعة، وهو يسوق حديثه ضد بعض الجماعات المسلمة التي تتكلم عن موضوع تحكيم الشريعة الإسلامية وأنه مهمة عظمى، وساق هذا الرجل الواهم كلاما لشيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع الإمامة في رده على الشيعة الروافض وعقيدتهم في الإمامة، والأمر بينهما جد مختلف ويبصره صغار الطلبة وأنصاف المتعلمين، لكن هذا الرجل ربيع المدخلي يكفيه أن يعلن أنه سلفي !!ليكون إماما لبعض الصبية الأغرار ممن تغرهم الشعارات والعبارات البراقة .الإمامة في دين الله مطلب شرعي، ولا تتحقق عبودية المسلم في الأرض إلا إذا صار إماما، ونقصد هنا بالإمامة والإمام هو التمكين بالغلبة والقوة، فكلما زاد تمكين

المسلم في الأرض كلما زادت عبوديته، وكلما نقص تمكين المسلم في الأرض كلما نقصت عبوديته.

وهذا الفهم له أدلة كثيرة منها:

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)

(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون)

(الأرض يرثها عبادي الصالحون)

(ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم)

هذه الآيات وغيرها الكثير تربط بين صدق الدعوى وصدق الوعد.

أما الدعوى فهي الإيمان وهي أعلى مراتب تحقيق العبودية.

وأما الوعد فهو التمكين، فإذا وجدت الدعوى فلا بد أن يتحقق الوعد، وتخلف الوعد يدل لزوما على تخلف الدعوى.

فالتمكين الذي هو النصر والغلبة مظهر من مظاهر عبودية المسلم في الأرض، وطلب التمكين في الأرض أمر إلهي واجب، على قاعدة أن الوعود الإلهية هي أوامر لتحقيق أسبابها والسعي في إدراكها، فأي جماعة لا تعمل في أسباب التمكين في الأرض بالغلبة والقوة لا تستحق أن تلج باب العبودية لرب الأرباب، والتمكين لا يتم إلا بالفتح كما أن الفتح لا يتم إلا بشهادة.

٢- لا مغفرة من غير فتح : بتمام العبودية لرب العباد يمن الله على عباده بالغفران، فالعبودية تساوي التمكين، والتمكين يكون بالنصر والغلبة وهما يعنيان الفتح؛ قال تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) فانظر

حفظك الله ورعاك إلى التلازم بين فتح الله لنبيه) وهو ظهور دين الله تعالى على كل الأديان بالسيف والسنان كما ظهر بالحجة والبيان (وبين الله منه أن يستغفر ربه.

وقال تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما، وينصرك الله نصرا عزيزا)

انظر إلى الجمع بين الفتح والمغفرة، إنا فتحنا تساوي ليغفر مضافا إلى ينصر . فالفتح نتيجة المغفرة والنصر، لأن الفتح لا يقع إلا بتوبة وجهاد . فالمغفرة لا تقع إلا باستغفار، والنصر لا يقع إلا بقتال، فالفتح لا يقع إلا باستغفار وجهاد، وغياب الفتح عن العبيد دال على أن المغفرة لن تقع، وقد أدرك الصالحون من عباد الله هذا الأمر؛ قال تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)

٣- لا فتح إلا بشهادة :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين)

فمن مقاصد الرب سبحانه وتعالى وقوع البلاء الذي هو مقدمة النصر والتمكين، كما سئل الإمام الشافعي :أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.اه

الفوائد لابن القيم: من مقاصد الرب سبحانه وتعالى في وقوع البلاء هو اتخاذ الشهداء، وعلى هذا فيجب على الجماعة المهتدية أن تنشئ في نفوس أتباعها حب الشهادة وطلبها

والسعي لها لأنها مقصد إلهي ولأنها الطريق نحو النصر والتمكين، ولهذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع أصحابه على الموت، وكانوا رضي الله عنهم يطلبون الموت مظانه لما علموا من حب الله تعالى لاتخاذ الشهداء، قال تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

وعلى هذا فإنا نخلص إلى النتائج التالية:

أ -الجماعة المهتدية هي التي تسعى إلى تحقيق عبودية الله تعالى في الأرض بتمكين دين الله، وببسط سلطان الله في الناس.

ب -الجماعة المهتدية علمت أن هذه العبودية لا تتم إلا بالفتح وأن أسباب الفتح هو القتل والقتال.

ج -الجماعة المهتدية هي التي يجتبيها الله بأن يتخذ منها شهداء، أما جماعات الانحراف والتزوير فهم الذين يفرزون سوء الرأي بأخذ جانب السلامة فيستبدلون القتل والقتال بالبرلمان حينا وبالبلاغ حينا وبتحقيق كتب التراث حينا وبالتربية الموهومة حينا وكل هذه - الطرق تؤدى إلى الذلة والهوان إذا اتخذت سبيلا للتمكين، والله الهادي سواء السبيل. أهـ

وهؤلاء المتطرفون خالفوا أبا القاسم واتبعوا أهواءهم، وضلوا وأضلوا كثيرا من عباد الله، ونفذوا أوامر الممولين لهم بالمال والسلاح، فمن يمدهم بالسلاح والمال هو سيدهم الذي يطيعون أوامره ويحققون أغراضه، ويتلاعب بهم كيف شاء ليحقق أهدافا سياسية واقتصادية، من وراء الفوضى والفتن والهرج في بلادنا.

ولنعرض لبعض الأحاديث النبوية التي أرشدت المسلمين كيف يتصرفون في وقت

إشاعة الفتن، فعن أبي ثعلبة الخشني قال رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِى رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «لاَ بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».[٢٤]

وعن أبي موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ». قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ». قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الآنَ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَيَقْتُلَ أَخَاهُ وَيَقْتُلَ عَمَّهُ وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ». قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَعَنَا عُقُولُنَا يومئذ؟ قَالَ: "لاَ، إِلاَّ أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكُمُ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسِبُ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَىْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَىْءٍ".[٢٥]

قال حذيفة بن اليمان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه وكان ردئا للإسلام، غَيَّرَهُ إلى ما شاء الله، فانسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك". قال: قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أم الرامي؟ قال: "بل الرامي".[٢٦]

٢٤ - سنن الترمذي: ٥/٢٥٧، رقم (٣٠٥٨) وفي رواية: "فَعَلَيْكَ خُوَيْصَةَ نَفْسِكَ، وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامِّ". سنن ابن ماجه: ٢/١٣٣٠، رقم (٤٠١٤).

٢٥ - مسند أحمد:٤/٤٠٦، رقم (١٩٦٥٣) وصحيح ابن حبان: ١٥/١٠٣، رقم (٦٧١٠)، وسنن ابن ماجه: ٢/١٣٠٩ رقم (٣٩٥٩).

٢٦ - صحيح ابن حبان:ج١/ص٢٨١، رقم (٨١) طبعة مؤسسة الرسالة ط٢/١٩٩٣م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط.

وروى نعيم بن حماد عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ؛ فَلَا تُحَرِّكُوا أَيْدِيَكُمْ وَلَا أَرْجُلَكُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، هُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ، لَا يَفُونَ بِعَهْدٍ وَلَا مِيثَاقٍ، يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَنِسْبَتُهُمُ الْقُرَى، وَشُعُورُهُمْ مُرْخَاةٌ كَشُعُورِ النِّسَاءِ، حَتَّى فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْحَقَّ مَنْ يَشَاءُ».(٢٧)

---

٢٧ – نعيم بن حماد في كتابه الفتن ١/ ٢١٠ رقم (٥٧٣).

المكون العاشر: أنهم أحق بحكم بلاد الإسلام فهم القادة والمجاهدون فلا يُحكموا كبقية المسلمين من رعايا الدول الإسلامية.

وهذا الأمر مرجعه إلى كبرهم وغرورهم، وحبهم للدنيا والسلطان.

يقول أبو قتادة الفلسطيني في كتابه "الجهاد والاجتهاد": وإذا وصلنا إلى التّمكين من خلال شوكة النّكاية لن نكون مضطرين إلى احترام آراء التّعددية السياسية ولا الأحزاب الأخرى؛ لأنّه لا وجود لها، لقد واريناها التُّراب قبل قليل، أو رميناها في قليب بدر.

وإذا وصلنا إلى التّمكين من خلال شوكة النّكاية المتكررة لن يكون قائدنا جباناً ولا خائناً ولا عميلاً، لأن القائد الجبان والخائن والعميل هو الآتي لنا من الظّلام، لم نَخبره ولم يخبرنا، أي أتانا من وراء مكتب وثيرٍ لا من وهج المعركة.

والوصول إلى التّمكين من خلال شوكة النّكاية المتكررة لن يجعل همنا إرضاء النّاس بتأمين السكن والخبز والعمل لهم، ولسنا محتاجين إلى أخذ رضاهم فيمن يحكم أو بما يحكم، سيحكمهم أميرنا شاءوا أم أبوا، وسنحكمهم بالإسلام ومن رفع رأسه قطعناه، لأن التّمكين وصل إلينا بفضل الله وحده، فليس لنا أن نهتم إلا برضاه وحده، نفعل ما يأمر وإن غضب النّاس، وننتهي عما نهى، وإلهنا هو إلهنا وحبيبنا، نصرنا وحده من ضعف، وآوانا من عرِي، وأطعمنا من فقر، أخذنا سلاحنا من يد عدونا، لم نعقد الصفقات مع الشّرق والغرب مقابل تنازلات مبدئية، ولم نصل إلى التّمكين بقرار في بيت أبيض أو أسود، بل بعبوديتنا لله وحده، وببراءتنا من كلّ طواغيت الأرض. أهـ

وهذا يبين نفاق تلك الجماعات المتطرفة وأنهم يظهرون عكس ما يبطنون، وأنهم يكنون الازدراء والكراهية للشعوب، ولا يحترمون إرادة غيرهم.

ومن تكبرهم على خلق الله لا يؤمنون بأن المولى عز وجل هو من يعطي الملك وهو من

يسلبه عمن يشاء وقتما يشاء، وهكذا قال: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران: ٢٦]

ثانيا: سمات التكوين المعرفية

١ – إنكارهم المذهبية. وفيه إنكار التعدد في الفكر والفهم والتطبيق لأحكام الشريعة، وادعاؤهم أنها تأتي على صورة واحدة مما أوقعهم في كثير من التضارب والمنافرة مع الفقهاء المجتهدين. (٢٨)

٢ – فتح باب الفتوى والاجتهاد للعوام: وفيه أطلقوا يد العوام لتهجم على نصوص الشريعة بغير وعي ولا علم تعبث بالقواعد البدهية في الفهم والمنطق واللغة، مما أفسد الأحكام وجعلها غير متفقة مع المصالح والعقل والمنطق.

والمتطرف أيضا لا يدرك النص جيدا، ولا يحيط بالمقاصد، ولا يفرق بين القطعي والظني ، ولا يفرق بين الشاذ والإجماع ، ولا يدرك حقيقة الواقع ولا المآلات التي يؤول إليها الأمر، ولا يعرف ترتيبا للأولويات في حياة الناس ومعاشهم، ولا يسعى للمصالح . وهذه سمات ملازمة لهذا الفكر. (٢٩)

٣ – إهمال اللغة: إن اللغة علم وفيه صعوبة ويحتاج إلى جهد في تحصيله، ومن باب استسهال الأمر وترغيب الكسالى والجهلاء في اتباعهم والتلبس بزي العلماء قللوا من قيمة اللغة وأهميتها في فهم النصوص الشرعية.

٤ – إنكار التصوف: والتصوف يقوم على مجاهدة النفس وضبط الشهوات وتزكية الروح وضبط السلوك بضوابط الخلق والقيم، وحيث يرغب هؤلاء المتنطعون في اتخاذ الدين هيئة وصورة شكلية لم يأخذوا منه إلا رسمه، بل وأنكروا أهميته في تقويم النفس والسلوك.

٥ – إنكار الدولة: وهذا لون من الخروج والتفلت على كل سلطة بادعاء أنهم يهبون السلطة

---

(٢٨) راجع الملحق الثاني .

(٢٩) راجع الملحق الثالث، نظريات الأصول السبعة.

للواحد الأحد، ولا يدرون أو يتعمدون إنكار أن الله بنصوص كتابه قد جعل لأولي الأمر سلطانا، به يقيدون المباح ، وبه يضبطون أمور الناس ويوحدون كلمتهم، ومن هنا جاءت الفرقة والتشرذم في جماعاتهم، واتخذ كل منهم رئيسا وأميرا، من حيث دعوا الناس للتحرر والحرية وما هو إلا التفلت والتميز على سواد المسلمين وجماعتهم.

٦ – إنكار معنى المواطنة، وما يترتب عليه من مساواة بين أبناء الوطن الواحد في الحقوق والواجبات أمام القانون، ولقد حارب المتطرفون فكرة الوطن ادعاء منهم أنهم يتبعون الأمة، وما الوطن إلا جزءا من الأمة، وإنكاره والتعدي عليه هو ابتعاد عن الأمة وتحطيم لكيانها، فهم قوم ضلوا من حيث يحسبون أنهم مهتدون، وتبع ذلك التعدي على خلق الله من غير المسلمين أو ممن كفروهم وأخرجوهم عن دائرة الدين ظلما وعدوانا وحكموا عليهم بالردة، لمجرد المخالفة في الفهم والفكر والتطبيق.[٣٠]

٧ – تعظيم الدين الموازي. وفيه أنشأ هؤلاء المتنطعون لأتباعهم دينا موازيا، لا يرضون بدين الإسلام ومذهبه الحق الذي سار عليه علماء الدين وعامتهم عبر التاريخ، وأوهموا الناس أنهم يأتون بدين جديد مختلف عما درج عليه الخلق، يحيون به دين الصحابة والسلف، وهم كذبة ، وما الدين إلا الإسلام وما الدين إلا ما سار عليه خلف الأمة متبعون لسلفهم ولم يحيدوا عنه وإنما اجتهد كل جيل في فهمه وتطبيقه حسب مقتضيات العصر.

إن الجماعات المتطرفة والتي خرجت على جماعة المسلمين وسوادهم الأعظم، وشقت صفوفهم، ورفعت السيف في وجه سلطانها ونظامها، هؤلاء هم ورثة المنافقين الذين خرجوا على جماعة المسلمين في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشأوا لأنفسهم مسجدا

---

٣٠ – راجع الملحق الرابع عن المواطنة.

وأقاموا جماعات خاصة (موازية)، فيما سمي في سيرة سيدنا رسول الله بمسجد الضرار، والذين نزل فيهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾ [التوبة: ١٠٧ – ١١٠]

فإن المنافقين في عهد سيدنا رسول الله أظهروا الطاعة حيث أقاموا مسجدا للصلاة، وحضروا فيه الجماعات، ودعوا الناس للتوافد إليه، ولكن حقيقة أمرهم أنهم كانوا يريدون تفريق كلمة المسلمين وإنشاء مؤسسة موازية للمسجد النبوي الشريف الذي يجتمع فيه الصحابة حول سيدنا رسول الله، مما سيترتب عليه إعلاء قيادات موازية، والترويج لأفكار موازية من المؤكد أنها ستهدم المجتمع، لأن المنافقين إنما دعاهم للنفاق طلبهم للسلطة، والسلطة دنيا، والدنيا تفرق ولا توحد أبدا، فإن عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين كان يتطلع لأن يكون ملكا على المدينة، ويرى في مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ضياعا لأحلامه وهدما لطموحاته في الملك.

وقد ظهر في بني إسرائيل أمثال هؤلاء وهم أتباع السامري، الذي استغل فرصة ذهاب موسى عليه السلام لتلقي الوحي، فغرر بقومه ولبس عليهم أمر دينهم، فصنع لهم العجل وطلب منهم عبادته، كإله محسوس مجسم، بدلا من إله موسى الذي لا يستطيعون رؤيته أو

الإحاطة به، وهو بذلك أضل قومه في أثمن ما يملكون إنه عقيدتهم التوحيدية إنه عقيدة التنزيه والسمو.

قال تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٨٧ – ٩٤]

وانظر إلى الاعتذار الذي قدمه نبي الله هارون عليه السلام، لقد خشي أن يتهم بجريمة التفريق بين بني إسرائيل. مما يشير إلى جريمة اجتماعية ارتكبها السامري ومن عاونه فضلا عن الجريمة العقائدية الدينية التي فعلها بتعبيد بني إسرائيل للعجل، إنها تفكيك المجتمع وتقسيمه فرقا وأحزابا وجماعات، بإنشاء الدين الموازي والإله الموازي والقائد الموازي والنص والأوامر الموازية، وقد بقي حتى الآن في اليهودية أثر للتفريق الذي أحدثه السامري.

وإذ نتحدث عن الدين الموازي والثقافة الموازية يجدر بنا الحديث عن جماعة الإخوان المسلمين والتي أحدث ظهورها هزة عنيفة ودمارا كبيرا في المفاهيم الإسلامية الراسخة من حيث ربطت الجماعة أغلب المفاهيم الشرعية بالسياسة والاستيلاء على السلطة، وفي هذا الطريق عادت الجماعة المناهج الأزهرية في الدراسات الدينية وخرجت عن المألوف والمتعارف عليه في أوساط الأزهر العلمية، فضلوا عن المنهج الصحيح والطريق القويم،

ولم يلتزموا بأي من النظريات الموضوعة للاجتهاد والفهم والاستنباط للأحكام الشرعية بمراعاة الواقع والمقاصد والمآلات وغير ذلك. وهذا المنهج هو الذي يمثل المحجة البيضاء البيضاء التي تركنا عليها رسول الله ﷺ، والتي سار على آثارها كافة المسلمين عبر العصور.

فينبغي لكل عاقل أن يعلم أن تلك الجماعات المتشددة غيَّرت المفاهيم والمصطلحات العلمية، الأمر الذين يمكن أنْ يقالَ عنه إنَّها قلبت الهرم العلمي المعروف منذُ سنين وقرونٍ، وبدلت الصورة الذهنية المعهودة، وجعلت هناك دينًا موازيًا يُضاهي دينَنا الحنيف ويحاول أن يكون مكانَه والله متمُّ نوره سبحانه.

وطريقةُ الهرم المقلوب اتبعتها الجماعات التي ظهرتْ على السَّاحة وادَّعت التدين؛ وذلك نظرًا لفهمهم الخاطئ للنصوصِ، فهم لا يعرفون طرق العلم ومنهجيته الصَّحيحة، ويجهلونَ الهدف الأسمى الذي جاءتْ من أجله الرسالةُ المحمدية ومن أجله بُعِثَ سيدنا محمد ﷺ.

والهرمُ معروف كيف يكون، وهو أن قاعدته لابد أن تكون واسعة من الأسفل وتأخذ في الانضمام كلما تمَّ الصعود بها، حتَّى إذا وصلنا إلى القمة لا يكادُ يَسعُ إلا واحدًا يستطيع أن يقف فوقه، هذه هي الصورة الذهنية التي يتخيلها من يعرف شكل الهرم، فإذا ما قُلِبَ ذلك البناء وجُعلت القاعدة في الأعلى والقِمَّة في الأسفل فإن هذا يخالف ناموس الكون، ولابدَّ لهذا البناء من الانهيار في يومٍ من الأيَّام مهما كانتِ المادَّة التي صُنِع منها، فهو في هذه الحالة سيشبه الطير الذي يحوم حول النَّار ولابدَّ له من السقوط فيها، فالذي يتمسَّك بالهرم المقلوب يتمسَّك بالأوهام ويخرج عن سنَّة الله في كونِه وعن منهجِ الله لعبادِه.

فمِنْ خلال تغيير المفاهيم وقلب الحقائق واصطناع هرمٍ مقلوبٍ لا يتماشى والنظام العلمي المعهود نشأ ما يسمى بالدين الموازي، الذي هو عبارة عن فكرة انتهجتها الجماعات التي ظهرتْ على السَّاحة، وانتهجتْ منهجًا مخالفًا لما جاءنا به النبي ﷺ، متخذةً خطًّا موازيًا

للدِّين الحقِّ.

والمقصود بالدِّين الموازي هو ما له ظاهر وباطن، وهو الذي يساوي بين العنف والسلم، وبين الصدق والكذب، وبين النفاق والإخلاص، ويتَّسم بأن من مظاهره التصدر للمشهد الإسلامي حتى يرى النَّاس أن أتباع تلك الجماعات هم الذين يقدمون الخير للنَّاس وهم يضمرون الرغبة والشهوة في التسلط على الخلق والتحكم في مصيرهم.

ومن أجل الوقوف على مكمن الدَّاء نوضح للقارئ أن المشكلة الكبيرة التي تظهر في هذا الأمر والتي أدَّت إلى وجود ما يسمى بالدين الموازي، والتي أوصلت هذه الجماعات إلى ما هم فيه هي أنهم لم يفهموا الكتاب والسنة مطلقًا، لا بعمق ولا بغير عمق، بل إنهم لم يهتموا بكثيرٍ من العلوم إلا عندما وجدوا أن هناك فرقًا بينهم وبين غيرهم ممَّن اهتموا بتلك العلوم؛ فعلى سبيل المثال هم كانوا لا يهتمون بعلم التجويد أبدًا إلى أن وجدوا فرقًا بينهم وبين المشايخ الكبار في التجويد، فبدءوا يهتمون بهذا العلم في الثلاثين سنة الأخيرة، فاهتمامهم بالعلوم غير دالٍّ على حب كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ لأن النبي ﷺ أخبر عن الخوارج أنهم: «يقرءونَ القرآن لا يجاوز تراقيهم»(٣١).

والمشكلةُ ليستْ في قِراءة القرآن لأنه قد يقرأ الشَّخص القرآن لكن لم يَبْقَ عنده من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رَسمه، وهذا ما يتحقق عند هؤلاء المتشددين، وليس حفظُ القرآن هو الذي يجعل الإنسانَ متدينًا، وإنَّما الذي يجعله متدينًا بجانب حفظه للقرآن هو انضباط فكره واتزان عقله، وفي هذا الأمر نحن لنا سلف فسيدنا عمر لم يحفظ

---

(٣١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الزهراوين البقرة وآل عمران إلا في ثمان سنوات، وكان لا يغادر الآيات إلا إذا طبقها وأقامها على نحو ما يَحفظ.

والسبب في انتهاج هذه الجماعات مسلك الدين الموازي هو أن هذا في النِّهاية عمل تابع للسِّياسة، فالمعروف في السياسة أن أيَّ حزبٍ سياسيٍّ ضعيف في بدايته يقومُ بِعَملِ أيِّ شيء حتَّى يروِّج لنفسه، بل يأتي ويتسلَّط على أعمال غيرِه وينسبها لنفسه، وهذا الأمر يعدُّ من الأفعال القبيحة في المجتمع والتي لا يرضى بها أحد.

- ومن هنا كان لا بد من وضوح خصائص الدين الموازي؛ لأن بيان خصائصه تجعلُه واضحًا لكثيرٍ من النَّاس، وخصائصه تكمن في أنه يتسم بالرياء، فهو له ظاهر وباطن، أي أن ما يظهرونه غير ما يبطنونه.

- ومن خصائصه أيضًا الحيرة، فالفرد فيه يكون حائرًا بين العمل المدني والسياسيِّ والديني، وحائرًا بين وسيلة العنف ووسيلة السلم، كما أنه يرى في مرشده نبيا وفي المتبعين صحابة وفي عموم الناس جاهلية من قريش.

- بجانب ذلك فإن تلك الجماعات فقدوا معنى التَّربية، هذه التربية التي صنعت المشايخِ الكبار.

- الاعتراض المطلق والانتقاد غير المبرر أو المسبب، فممَّا يتَّصفُ به دعاة التدين والالتزام أصحاب الدين الموازي الاعتراض المطلق، يعترضون من أجل الاعتراض وليس بقصد تقويم أمر معوجٍّ، ولا بقصد فَهم أمر قد التبس عليهم ولم يفهموا معناه، ومن أمثلة ذلك ما ذكرت لك في الفصل السابق من اعتراض حسن الهضيبي على القانون الذي وضعَه السنهوريُّ باشا، وعندما سئل عن ذلك قال: إنه ضد فكرة أن يضع أحدٌ من الناس القانون، سواء أكان واحدًا أو لجنة كاملة؛ وسواء عنده أصابوا فوافقوا الشريعة أو أخطأوا .

- ثم بعد ذلك يترتبُ على الاعتراض المطلق أنَّ المعترضين الذين يُكثرون من الاعتراض ضد من يخالفهم يكافئونهم على اعتراضِهم، وهذا أمر أيضًا من خصائص هذا الدين الموازي؛ لأنَّ هذه الاعتراضات التي يفعلونها والخلاف مع كل مَن ليس معهم تكون سببًا في حشد كثير من الناس وانضمامهم تحت رايتهم، وربما كان اعتراض الهضيبي أمرًا مؤكِّدًا لدى حسن البنا بأنه جدير أن يكون مرشدًا للإخوان بعده، فقد كان الهضيبي الرجل الوحيد بجانب حسن البنا في أيامه الأخيرة بل إن البنا اتخذه مستشارًا وموضع سره يقول محمود عبد الحليم: «ويبدو أن الأستاذ الإمام قد أفضى إليه بكل ما عنده وشرح له جميع المواقف وحلل له كل الشخصيات؛ بدليل أنه منذ أول يوم فوتح فيه في خلافة الأستاذ الإمام تحدث عن بعض شخصيات الإخوان حديث العليم الخبير»[٣٢].

فاعتراض حسن الهضيبي على السنهوري باشا كان سببًا من أسباب ترشيحه لخلافة البنا في إرشاد الجماعة، وهو أمر لقيَ قبولًا عند معاشر الإخوان في ذلك الوقت؛ لأنهم يرون أن هذه مواقف مشرفة في الدفاع عن الإسلام والشريعة الإسلامية، على الرغم من أنه لم يكن أحد يعرف الهضيبي وقتها، وهذا الأمر أحدث مشكلة عند كثير من الإخوان وقتها، وثارت الشبه حول المرشد الجديد الذي سيتولَّى بعد حسن البنا، ولخص محمود عبد الحليم تلك الشبه في خبرته في الشئون السياسية والاجتماعية، ومدى اتصاله ومدى سابقته في الدعوة، ومدى استعداده الخطابي أو اللساني[٣٣].

---

(٣٢) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (٢/٤٨١، ٤٨٢) تأليف: محمود عبد الحليم- دار الدعوة- الطَّبعة الأولى- ٢٠١٣م.

(٣٣) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (٢/٤٧٣). وانظر كلام الشيخ محمد الغزالي عن الهضيبي عندما فصله عن جماعة الإخوان في: من معالم الحق (ص ٢٢٦) دار الحديث- ١٩٦٣م. قال: استقدمت

ومثال آخر على الاعتراض عندما نتذكَّر التحديثات التي قام بها الخديوي إسماعيل في النظام القانوني يقول طارق البشري في هذا الصدد: «ويبدو أن هدف تحويل مصر إلى النظام القانوني الفرنسي قد بيِّتَ بليل، منذ منتصف الستينات من القرن الماضي، في بواكير عهد الخديوي إسماعيل فقد صدر الأمر العالي من الخديوي بتعريب مجموعات القوانين الفرنسية».

ثم ساق كلامًا يوضح فيه اعتراضه على بناء مدرسة الحقوق التي عمل الخديوي إسماعيل على إنشائها عن طريق أحد المهندسين الفرنسيين واسمه: فيكتور فيدال. يقول البشري وكأنه يعتبر أن هناك مؤامرة على البلد من إنشاء هذه المدرسة: «وإن دلالة هذا الأمر لا تتراءى فقط من إنشاء مدرسة تدرس مناهج القوانين الغربية، فقد يكفي تفسيرًا لذلك ما كانت الحكومة تفكر فيه من إنشاء المحاكم المختلطة وإعداد من يساهم فيها من المصريين ولكن تبقى دلالة أخرى تتراءى من التخفي الذي أنشئت به المدرسة والذي يكشف عنه اسمها وهدفها الصوريان وقد يصلح تفسيرًا لذلك أن أنشئت المدرسة على هذه الصورة استنباتًا للفكر القانوني الغربي في البيئة المصرية، وحذرًا في الوقت نفسه من أن تلقى المدرسة مقاومة الأزهر

الجماعة رجلا غريبا عنها ليتولى قيادتها ، وأكاد أوقن أن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية ... وقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان". كما قال سيد قطب: إن الدكتور محمد خميس حميدة كان ماسونيا، وعلى درجة عالية من الماسونية، ورغم ذلك ارتقى إلى أن أصبح وكيلا عاما لجماعة الإخوان المسلمين في عهد الأستاذ حسن الهضيبي وأن الحاج حلمي المنياوي كان ممثلا للمخابرات الإنجليزية داخل الجماعة، وقد ترك حسن البنا مع علمه بحالهم المجال لهم ليترقوا للدرجات العليا. [نقلا عن علي عشماوي في التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين ص١٧٠ – ١٧٥]

ورجال الشريعة»(٣٤). فانظر إلى هذا الاعتراض على ما صنعه الخديوي إسماعيل، وكأن طارق البشري يريد أن يقول: إنهم ما أنشأوا هذه المدرسة إلا ذرا للرماد في العيون.

- ومن خصائصه أيضًا التَّكفير لكل مَنْ ليس معهم ولكل مَنْ لم يحكم بما أنزل الله بوجهة نظرهم، فإن أصحاب هذا الفكر من هذه الجماعات لم يقرءوا ولم يعرفوا كيفيَّة التعامل مع النُّصوص، فضلًا عن معرفة القراءة ابتداءً، ومع ذلك لا يزالون يتشدقونَ ويتهموننا بأنَّنا كفار؛ لأننا لا نَحكمُ بما أنزل الله ويرموننا بهذا الأمر بهتانًا وزُورًا، ويَستشهدونَ بقوله تعالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

- يدخل أيضًا ضمن خصائصهم عدم اهتمامهم باللغة، فربما تجدهم يهتمون بعلوم اللغة كالنحو والبلاغة والبيان وغير ذلك إلا أنهم يفتقدون فهم لغة العلوم الأخرى، فكل علم له لغته التي لا تدرك إلا بالنظر والتريث فيه، وهذا أمر يستدعي وقتًا من الزَّمن وجلوسًا تحت أقدام العلماء، وعدم الفهم لهذا الأمر يدعو إلى الانحراف عن الطريق الصحيح والحيدة عن الجادة ويَؤُول إلى عدم فهمهم للنصوص.

ومعلوم أن فهم النصوص لا يتأتي إلَّا من شخص يفهم اللغة الَّتي جاء بها النص، والقرآن والسنة ما نزلا وما جاءا إلا باللغة العربية، فمَنْ لم يكن محبًّا ومتقنًا للغة العربية لن يفهم مراد الله من قوله ولا مراد سيدنا رسول الله ﷺ.

والعرب من غير المسلمين اهتموا باللغة العربية اهتماما كبيرا لأنهم شعروا بالانتماء إلى

(٣٤) انظر: الوضع القانوني المعاصر بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي (ص ١٧، ١٨) دار الشروق- الطبعة الأولى- ١٩٩٦م.

هذه اللغة وهذه الأوطان أكثر من هؤلاء النابتة الذين انسلخوا من انتمائهم للأرض والوطن واللغة، فعلى سبيل المثال في لبنان نجد المسيحيين بذلوا مجهودًا كبيرًا في عمل الموسوعاتِ والقواميسِ التي تخدم اللغة وتهتم بالشعر العربي، وأدل دليل على ذلك أحمد فارس الشدياق الذي كان مسيحيًّا شاعرًا ثم أسلم، وقد وصل إلى درجة عالية من التمكن في اللغة العربية، الأمر الذي جعلهم في بلده يستعينون به في ترجمة الكتاب المقدَّس، وألَّف كتاب الجاسوس على القاموس، واستدرك فيه أشياء على قاموس الفيروزآبادي الذي شرحه المرتضى الزَّبيدي في تاج العروس، كما أنه لدينا كتب مؤلفة في تراجم شعراء النصرانية.

ولكن أصحاب الدين الموازي يعبرون عن نموذج الخروج وقد اتضح ذلك جليا في ظهور جماعة الإخوان المسلمين بمصر على يد مؤسسهم حسن البنا.

٨ - سعيهم ووعيهم مبني على نظرية الهرم المقلوب. وفيه جعلوا سفاسف الأمور عظائم، وجعلوا رأس الشريعة فرعا وفرعها رأسها، فأقاموا الولاء والبراء على النقاب واللحية وغير ذلك، فدخل ناس الإسلام بنظرهم وخرج آخرون، وقد جعل سبحانه وتعالى لشعب الشريعة أعلى وأسفل وجعل للمحرمات كبيرا ولمما، فأعلاها كلمة التوحيد لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والكبائر على رأسها القتل وسفك الدماء. وهو ما وقعوا فيه. واللمم هو ما كفروا الناس بالوقوع فيه.

٩ - أوضاعهم تتدهور جيلا بعد جيل حسب نظرية الأجيال المتتالية. وهي فكرة أن أجيالهم تتمادى في الغي والضلال ويبنون تيها من ورائه تيه، يدخلون الناس فيه ويفرقونهم ويستحلون دماءهم وأموالهم، فتأتي الأجيال من بعدهم موغلين أكثر في الضلال، وفي تركيب دين مواز يبتعد أكثر فأكثر عن جماعة المسلمين وسوادهم.

١٠ - تكفير المسلمين: اعتمد المتطرفون فكرة الردة يحكمون على المسلمين بالكفر عبر التاريخ فلم يسلم منهم عالم ولا ولي، وذلك حتى يزينوا في عقول أتباعهم العنف وحل الدماء. [٣٥]

---

٣٥ - راجع الملحق الخامس عن فتنة التكفير.

ثالثا
الأمراض السلوكية

١ – العنف واستباحة الدماء التي حرمها الله، والاصطدام مع العالمين.

ونسوق هنا كلام المجرم الأثيم مجدي شلش مفتي جماعة الإخوان الإرهابية وهو يأصل[٣٦] لأتباعه من وجهة نظر الشريعة . بزعمه . حل قتل الشرطي والضابط الذي يأتي بيتك ليستحضرك للتحقيق أو المثول أمام القاضي، وقد وردت هذه النصوص ضمن مؤلف له منشور على الإنترنت باسم "التأصيل الشرعي"، وما هو تأصيلا ولا شرعيا، وإنما دعوة صريحة للقتل والهرج والفتنة لبسها مروجها ثوب الإسلام، واستشهد عليها من نصوص الدين ما يكر عليه بالبطلان، ويكشف زور دعواه وبطلانها.

يقول الإرهابي مجدي شلش :

قال الشافعي رحمه الله: (إذا دخل الرجل منزل الرجل ليلا أو نهارا بسلاح، فيأمره بالخروج فإن لم يخرج فله أن يضربه وإن أتي على نفسه.

وأضاف الشافعي رحمه الله: سواء كان الداخلُ يُعْرَفُ بِسَرِقَةٍ أَوْ فُسُوقٍ، أَوْ لاَ يُعْرَفُ بِهِ) (الأم: ٦/ ٣٣).

ولا يخفى أن هذا الحكم ينطبق على البلطجية ومردة الشرطة الذين يصولون بسلاحهم على البرءاء في المسيرات والطرقات ويعتدون عليهم بقوة السلاح. فالحكم هو جواز الضرب أو

---

٣٦ – نقلا عن كتاب "التأصيل الشرعي" وهو ملف يتداوله أفراد الجماعة الإرهابية فيما بينهم في شكل إلكتروني، ينسب إلى المجرم مجدي شلش مفتي جماعة الدم، وهذا الملف يتداولونه أيضا في صفحات التواصل الاجتماعي، وقد عرضناه على الباحثين وأولي العلم ودعوناهم إلى تجهيز رد شاف عليه يدحر ما جاء به من دعوات وإفك وتلبيس على عامة الناس وغيرهم.

القتل. اهـ

وهذا استدلال باطل، وواضح أن الجهة منفكة، فالإمام الشافعي يتحدث عن المجرمين المعتدين على بيوت الناس، ولكنه قطعا لا يتحدث عن الشرطي الذي يقوم بعمله حيث يوجب عليه عمله حماية الناس والقبض على المجرمين المتلبسين بإشاعة الفتنة أو التحريض عليها أو التحضير لعمليات إرهابية يقع ضحيتها برآء الناس، أو ينفذ الشرطي أوامر القاضي الذي يطلب منه استحضار من وردت شبه ودلائل على ضلوعهم في جرائم، فهل يسوغ الإمام الشافعي .في زعم هذا الإرهابي مجدي شلش .للمجرم أن يتحصن ببيته ويطلق النار على الشرطي ويغتاله؛ ولا يستجيب إلى دعوة القاضي . وفي ذلك عين الفتنة والخراب والفوضى في المجتمع؟!

وقد قال تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) [النور: ٤٨]

ثم يسوق الإرهابي مجدي شلش لأتباعه حديثا يحسب أنه في صالحه وهو عليه.

قال: توجيه حديث : القاتل والمقتول في النار.

وإن كانت العزيمة والمظلومية تقتضي أن تنقتل لقاتلك، وعلى المسلم ألا يبدأ بنزاع أو قتال ولا ينويه، ولأن يكون كابن آدم المقتول خيرًا من أن يكون ابن آدم القاتل، وهذا على المستوى الشخصي، أي في حقوقه الخاصة، وبالأخص إذا كان القتال على الدنيا، أما حقوق الشريعة فهي واجبة الاستيفاء من كل أحد كائنا من كان، وذلك لحديث: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ

الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» (٣٧).

وقال ابن حجرفى كتاب الفتن في شرح الحديث: وَقَدْ أَخْرَجَ الْبَزَّار فِي حَدِيث "الْقَاتِل وَالْمَقْتُول فِي النَّار" زِيَادَةٌ تُبَيِّن الْمُرَاد وَهِيَ "إِذَا اِقْتَتَلْتُمْ عَلَى الدُّنْيَا فَالْقَاتِل وَالْمَقْتُول فِي النَّار".

وقَالَ الْقُرْطُبِيّ: فَبَيَّنَ هَذَا الْحَدِيث أَنَّ الْقِتَال إِذَا كَانَ عَلَى جَهْل مِنْ طَلَب الدُّنْيَا أَوْ اِتِّبَاع هَوًى فَهُوَ الَّذِي أُرِيدَ بِقَوْلِهِ "الْقَاتِل وَالْمَقْتُول فِي النَّار "(انظر : فتح الباري ١٣/ ٣٤)

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : هَذَا الْوَعِيد لِمَنْ قَاتَلَ عَلَى عَدَاوَة دُنْيَوِيَّة ، فَأَمَّا مَنْ قَاتَلَ أَهْل الْبَغْي أَوْ دَفَعَ الصَّائِل فَقُتِلَ فَلَا يَدْخُل فِي هَذَا الْوَعِيد لِأَنَّهُ مَأْذُونٌ لَهُ فِي الْقِتَال شَرْعًا (انظر : فتح الباري ١٢/١٩٧).

والقاتل والمقتول في النار حين يكون كل منهما حريصا على قتل الآخر، وقد خرج لأجل قتله، أما من خرج لا يريد القتل فَقُتِلَ فدمه في رقبة قاتله، لأن من خرج مطالبا بحقه رخصت له الشريعة - و لكل مظلوم - أن يدافع عن نفسه وأن يأخذ حقه ولو مات المعتدِي عليه أثناء التدافع فدمه هدر، قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى].

لكن المجرمين صاروا يستمرئون القتل بهذا التهاوت من المسالمين، فإذا لم ينحسم شرهم إلا بالقتل جاز أن يقتلوا .أهـ

فهو يصور لأتباعه أن قتالهم لأولي الأمر والقائمين على النظام في البلد وخروجهم بالسلاح مقاتلين إنما هو لأجل الشريعة ولأجل الدين ولأجل النصرة والتمكين لأهل الحق، أي الإخوان المسلمين بزعمه فقط، ولذلك فإنهم إن اشتبكوا مع أفراد الشرطة والجيش فقتلوهم

(٣٧) متفق عليه.

فهم شهداء من أهل الجنة، ولا ينطبق عليهم الحديث فالقاتل والمقتول في النار.

ولكنا يقينا نقول له : أنتم تقاتلون من أجل الدنيا، من أجل السلطان؛ نعم تزعمون أنكم ترغبون في هذا الملك من أجل إقامة الدين والشريعة، ولكن يقينا أن مقاتلتكم للمسلمين من أولي الأمر والقائمين على النظام ليست من أجل الدين، لأنهم يقيمون الصلاة ويحرسون المساجد ويعظمون الشعائر .

ويستشهد الإرهابي مجدي شلش عليه من الله ما يستحق بما قاله الإمام الماوردي، وهو مردود عليه وشاهد على جرمه.

"قَالَ الْإِمَام أَبُو الْحَسَن الْمَاوَرْدِيُّ الْبَصْرِيّ فِي كِتَابه الْأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة : وَقَالَ جُمْهُور الْفُقَهَاء : أَمَّا البغاةُ فيُقَاتَلُونَ عَلَى بَغْيِهِمْ إِذَا لَمْ يُمْكِن رَدّهمْ عَنْ الْبَغْي إِلَّا بِالْقِتَالِ ؛ لِأَنَّ قِتَال الْبُغَاة مِنْ حُقُوق اللهِ الَّتِي لَا يَجُوز إِضَاعَتهَا "(الأحكام السلطانية ١/ ٣٤٠)

وحدد الإمام الماوردي خمسة أسباب يصير بها قتالهم واجبا : "

- أَحَدُهَا : أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِحَرِيمِ أَهْلِ الْعَدْلِ مايوجب قتال أهل البغي بِإِفْسَادِ سَبِيلِهِمْ.
- وَالثَّانِي : أَنْ يَتَعَطَّلَ جِهَادُ الْمُشْرِكِينَ بِهِمْ مايوجب قتال أهل البغي .
- وَالثَّالِثُ : أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ مَا لَيْسَ لَهُمْ مايوجب قتال أهل البغي .
- وَالرَّابِعُ : أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْ دَفْعِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مايوجب قتال أهل البغي .
- وَالْخَامِسُ : أَنْ يَتَظَاهَرُوا عَلَى خَلْعِ الْإِمَامِ الَّذِي قَدِ انْعَقَدَتْ بَيْعَتُهُ وَلَزِمَتْ طَاعَتُهُ "(انظر: الحاوي للماورديّ ١٣/ ٢٢٨).

وقال الرّمليّ : " الأوجه وجوب قتالهم مطلقاً ، لأنّ ببقائهم – وإن لم يوجد ما ذكر – تتولّد مفاسد ، قد لا تتدارك ما داموا قد خرجوا عن قبضة الإمام وتهيّئوا للقتال"(انظر حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري – كتاب البغاة ٩/ ٧٩٤).

ويرتب المجرم مجدي شلش على هذه الأدلة استحقاق مناوئيهم القتل بحد الحرابة .

يقول: حكم الحرابة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة] .

فهي – بنص الآية – محاربة لله ورسوله ، وإفساد في الأرض وقطع للسبيل ، وهي من صور بلطجة بعض أفراد الشعب على حقوق الآخرين، ولابد من حماية الشعب من هذه الفئة.

وقد حذر الشرع من إرهاب الآمنين وتهديدهم وتنغيص حياتهم بأية وسيلة، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من حمل علينا السلاح فليس منا» (رواه الترمذي في الحدود رقم ١٣٧٩).

وقوله: « من شهر سيفه ثم وضعه فدمه هدر» (رواه النسائي في تحريم الدم برقم ٤٠٢٩).

وقال : « من خرج على أمتي برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني» (رواه مسلم في الإماره برقم ٣٤٣٦)

وقال: « من أشار إلى أخيه بحديدة يريد قتله فقد وجب دمه » (رواه مسلم في البر برقم ٤٧٤١) .

فالمحارب ربما يقتل ، أو يسرق ، لكنه يقتل مع الترويع وقطع الطريق، وإن سرق فبالإكراه وليس بالاستخفاء، لذلك لا تطبق عليه العقوبات العادية التي تطبق على السارق أو القاتل ، بل أشد.

فلمعنى الترويع عقوبة زائدة على جزاء الجريمة في الظروف العادية، فإذا كان السارق تقطع

يده، فإن المحارب تقطع يده ورجله من خلاف (أي : يده اليمنى ورجله اليسرى أو العكس)، وهكذا على ما هو مفصل في كتب الفقه، ولذلك قال الإمام الشافعي في الأم : «إذا تسور عليهم في بيوتهم بالسلاح قطعت رجله ويده» (يعني: حكم عليه بحد حرابة لا حد سرقة) (الأم ، أهل البغي، ٤/١٧٣-٢٥٦، وانظر: المجموع للنووي ،أهل البغي ٢٠/٣٤٢-٣٦٩) .

وإذا لم يندفع المحارب إلا بقتله قتل دفاعا عن النفس، وله حكم الصائل، وقد روي عن قتادة والحسن قولهما « إذا طرقك اللص بالليل فهو محارب» وذلك لتضمنها معنى الإخافة.

واشتراط الفقهاء القدماء أن المحارب يكون في الصحراء وبعيدا عن العمران ، شروط كانت وجيهة في زمان مضى، لأن الفيافي والصحاري لا يمكن للعاجز أن ينتصر فيها بنفسه على المحاربين، لكنك ترى المتجبرين المستبدينيهدمون البيوت على رؤوس ساكنيها في المدن العامرة، وهذا يقودنا إلى القول بأن الحرابة تحصل ممن له قوة وشوكة، وأن الضحية يكون أعزل، أو له سلاح لا يقارن بسلاح المحارب ، ولا يجد ناصرا على من اعتدى عليه.أهـ

ثم يذهب شلش إلى تكفير أولى الأمر والقائمين على ضبط الأمن في البلاد باستدلال فاسد، يقيس فيه حالهم على المجرمين وقطاع الطرق والبغاة، والقياس الصحيح أن يقيس حاله وحال جماعته الخارجة المتطرفة التي خرجت على المجتمع كله بالإرهاب والبغي والعدوان على حال قطاع الطرق والمجرمين الذين يصح تطبيق الحرابة عليهم.

يقول: ومن المخاطر العقدية للحرابة أن فاعلها إذا استحل فعلها فقد كفر، وهذا ما قال به أبو حنيفة « من شهر على أخيه السلاح مستحلا لذلك فهو كافر بإجماع الأمة كلها ، لا يخالف في ذلك إلا من لا يعتد بخلافه» (انظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، قطاع

الطرق ،٧/١٦٢-١٧١).

ولا يزال هذا الحكم سارياً إلى يوم القيامة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فإنما فعل الرسول ذلك بهم جزاءاً وفاقاً ؛ لأنهم سملوا أعين الرعاة فصار ذلك السمل قصاصاً، وبقية الإجراءات من قطع الأيدي والأرجل حكم شرعي وهو حد الحرابة.

ويستطرد شلش الإرهابي فيقول:

الانقلابيون يُقَاتَلُونَ لِجَوْرِهِم ولو كانوا حكاما!!!!

وإذا قام الحاكم بما يجب عليه تجاه أمته فلا يجوز الخروج عليه ؛ لأن الحكم عقد بين الحاكم والمحكوم، فإذا قام الحاكم بما يجب عليه استوجب الطاعة على المحكوم.

وإن بدا من الحاكم تقصير، فإذا كان خفيفا يسيرا لا ينال ثوابت العقد وأصول الاتفاق ففيه النصيحة لحديث: « الدين النصيحة ».

وعلى هذا تحمل النصوص الواردة بالصبر على الحاكم، وهذا في الأمور الخاصة مع بذل النصيحة له.

أما إذا جار على الشريعة فلا ينبغي أن يسكت عنه، وكذلك إذا كانت أخطاء الحاكم تتعلق بمسائل الأصول، كأن نحّى الشريعة ؟؟؟!!![**ينظرون إلى أنفسهم على أنهم الشريعة نفسها**]، ووالى أعداء الأمة [**كل من عداهم**]، ولم يجد معه النصح نفعا، فعلى الأمة التصعيد بالصورة المناسبة كأن يخرج الناس في مظاهرات سلمية، وإن أصر ولم يندفع شره إلا بالخروج المسلح جاز ذلك بشرط القدرة !!!، والمسألة تخضع لفقه الموازنات.

وعدم جواز الخروج عليه مقيد بحالة التقصير، وليست في حالة الإخلال المتعمد بأصول عقد الاتفاق بينه وبين الأمة لحديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك وضربوا

ظهرك إلا أن يكون معصية » [٣٨] .

وقد وجه ابن حزم قبول ضرب الظهر في الحديث بما إذا كان بحق ، والحديث واضح في التفريق بين ما إذا كان تقصير الحاكم في حق الشخص فالأمر هنا بالصبر ، أما إذا كانت معصية في حق الشرع فلا يجوز السكوت كما سنبين.!!!

قال البغدادي في الفرق بين الفرق (١/١٦): « وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج علينا ثلاث: لا نبدؤكم بقتال ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا » يعني لا عزل ولا إقصاء ولا تصفية، ولم يقاتلهم إلا بعدما بدؤوا بالقتال.أهـ

إلى غير ذلك من هراء وتخبط ، فهو لا يدري يدافع عن الخروج أم يذمه، يبرره أو ينكره، يضع نفسه في صفوف الخوارج أو غيرهم، كل ما نعلق به أن كلامه مردود عليه ومحاج هو به في كلا الحالين.

ثم يعلنها المجرم شلش فيدعو أتباعه إلى من جماعة الإخوان المسلمين إلى الحرب صريحة على المجتمع المصري والدولة المصرية بدون مواربة أو تستر.

قال: لقد بات مباحا للشعوب استخدام القوة كسبيل بديل للتغيير على حسب ما يقتضيه الموقف في ضوء المصالح والمفاسد . فالقرآن الكريم الذي قال : "كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة". في مرحلة ما ، وكان رفع السيف محظورا ومخالفا لله ورسوله، وجاء في وقت لاحق يقول: "أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا". فأباح المحظور ، ثم جاء بعدها مُرَغِّبا "هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم". فتحول من الإباحة إلى الندب ، ثم جعله

(٣٨) صحيح ابن حبان ١٠/٤٢٥، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

فريضة وواجبا "كُتب عليكم القتال وهو كره لكم" ، ثم شن القران حملة على القاعدين والخوالف الذين تركوا الجهاد ولم يخرجوا مع إخوانهم !!

فهذا القتال دارت عليه الأحكام التكليفية من المنع إلى الوجوب، وبعدما كان المقاتل خارجا عن السياق ومخالفا للتكليف، عاد الأمر ليصبح القاعد هو الخارج عن السياق ومخالفا للتكليف .

فالمرحلة التى تعيشها الأمة بهذا الضعف والوهن، والمرحلة التي لا تُحترم فيها إلا القوة، والمرحلة التى لا يعاملك فيها العالم بالسلم إلا باستعدادك أنت للحرب، تحتاج إلى رؤية جديدة وانطلاقة جديدة . فالمقاومة دين وشريعة.

فقد وصل حال شعوبنا مع الأعداء أن إيذاءنا دينيا واقتصاديا وصحيا بات في متناول أيديهم ليل نهار، ولا يمكننا أن نصل إليهم بما يؤذيهم بشيء، وذلك لأن أنظمتنا هل التي تقوم بدور الحيلولة بين الشعوب وبين عدوها، فإذا كانت الدائرة على الأعداء تدخلت الأنظمة بكل ما تملك لإنقاذ حلفائها منهم، واستخدمت موارد بلادنا لحمايتهم والدفاع عنهم ، لأنها باتت تقدم مصلحتهم على مصلحة شعوبهم ، ولما كان رد اعتداء المعتدين واجبا شرعيا ، وكان هذا الواجب معطلا بسبب الأنظمة المستبدة والعميلة والموالية للأعداء ، فإنه لا بد من مناوشة هذه الأنظمة أولا، فتعتدل أو تعتزل، وما لا يتأتى الواجب إلا به فهو واجب .

إن الأمة فرطت في الجهاد حتى وصفه الواصفون بالفريضة الغائبة ، ومن أعظم ألوان الجهاد التي يراد لها أن تغيب ، مناصحة الحكام ، وإن الشهادة لها طريقان رئيسان، الاستشهاد على يد الكفار (مثل حمزة) والاستشهاد على أيدي فجرة الحكام ، وقد جمع الصنفين الحديث الشريف : " سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ".

[أخرجه الحاكم ٣/٢١٥ ، رقم ٤٨٨٤، وقال : صحيح الإسناد]

إن إزالة هذه القوى وإقامة الإسلام **[يعني نفسه وجماعته الضالة]** مكانها ليس بالأمر السهل الهين، فهي ستتشبث بمواقعها حتى النفس الأخير.. وإن تحقيق ذلك يحتاج إلى حركة أعدت نفسها للجهاد الطويل والمرير ولكل أنواع المعاناة والمواجهات..

فينبغي أن تكون لأصحاب الحق المستضعفين وقفات حاسمة مع الباطل، تحد من غلوائه وتوقفه عن حده، وربما يكون الأليق التهديد أو الاشتباك بالأيدي وانتزاع المشروعية ، كما في حادثة الطواف والصلاة عند الكعبة، أو الجراحات كما في حادثة سعد، أو التهديد كما في حادثة أبي بن خلف، أو بالعمليات النوعية كحادثة تلويث الأصنام أو كسرها، وهكذا. لكن ينبغي أن تكون الخطوات محسوبة.اهـ

وينتهي المجرم اللعين مجدي شلش إلى إصدار الحكم على المجتمع كله فيقول:

وبذلك يكون السيسي ومن معه من الوزراء والإعلاميين وقضاة الزور وشيوخ الانقلاب كل هؤلاء في حكم المحاربين ويجب تطبيق حد الحرابة عليهم، لاشتراكهم في القتل والغصب بالقرار والقضاء والفتيا والقنص والتغطية الإعلامية.

وفي غير أوقات ممارسة الظلم، أو فترة استخفائهم عندما يكونون بعيدين عن سلطانهم، كضباط الشرطة الذين يغيرون ملابسهم في غير مكان وزمان عملهم، كل ذلك لا يسقط حق الاستيفاء منهم . أي قتلهم . سواءا كانوا في عقر دارهم أو بيوتهم أو في الطرقات أم داخل أقسام الشرطة ، وفي وقت الاعتداء أو بعده اختفوا أم ظهروا. أهـ

هذا عين التحريض والدعوة إلى الفتنة والاقتتال وإشاعة الفوضى في المجتمع والخروج على كل من خالف جماعة الضلال والبهتان، إلى آخر ما يسوقه لأتباعه من تحريض على الإجرام وتسويغ له مما قطع الشك باليقين في خبل تلك الجماعات الضالة وخروجها عن كل الأطر القانونية والشرعية والاجتماعية، حتى يحرضوا على سفك الدماء في الشوارع والمنازل

والمؤسسات وغير ذلك.

٢ – الصد عن سبيل الله بعلم وبغير علم.

٣ – تشويه صورة الإسلام. حيث كانوا أسوأ دعاة وشر سفراء ينتسبون للإسلام.

٤ – ضياع مصالح المسلمين. حيث تفككت دول وانهارت حضارات بسبب طغيانهم وخروجهم على كل نظام ودين.

والاستهانة بالمقاصد الشرعية العليا (حفظ النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال):

جاء الإسلام بالحفاظ على المقاصد الشرعية الكلية العليا؛ المتمثلة في حفظ النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال، عصم الإسلام الدماء، وعلى هذه المقاصد دارت أحكام الشريعة وشرائع الإسلام. كما حافظ الإسلام على النفوس والمهج والأرواح؛ فجعل الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم والتعايش، ونهى عن الاعتداء وسفك الدماء، ودعا إلى احترام المعاهدات وعقود الأمان بين الناس.

والقرآن يقدم الأمن على الإيمان؛ حين يحكي عن سيدنا هارون عليه السلام تعليله لتأجيل التصدي والصدام مع من اتخذوا العجل من اليهود بالخشية من الفرقة حفاظًا على الأمن المجتمعي؛ فقال تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٢-٩٤]،

وهكذا كانت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الإنكار على مَن دعاه مِن أصحابه إلى قتال المشركين في مكة، وكذلك كان تصرفه مع المنافقين ومثيري الفتن والنعرات ودعاوى الجاهلية مِن أهل المدينة.

٥ – الفشل المتتالي . وفيه أنهم لم يتوقفوا عند حد ، فقد انكشف فشلهم وانكشف خسوفهم ولكنهم يتمادون في الغي والفساد.

قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) [البقرة]

نظرية الأجيال المتالية أو المتعاقبة

ومقتضى نظرية الأجيال المتتالية أن الفكرة التكفيرية أو المتطرفة تبدأ في جيل ثم تتصاعد الفكرة عبر الأجيال ، فتزداد سوءًا، ويعلوا سلم التطرف ، فيكفر الجيل التالي الجيل الأول ، وهكذا.

وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهور هذه المشارب المتطرفة في آخر الزمان، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم " : – إن لهذا الدين إقبالا وإدبارا، ألا وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يبقى إلا الفاسق ، والفاسقان ذليلان فيها، إن تكلما قهرا واضطهدا ، وإن من إدبار هذا الدين ، أن تجفو القبيلة بأسرها، فلا يبقى إلا الفقيه والفقيهان ، فهما ذليلان إن تكلما قهرا واضطهدا ، ويلعن آخر الأمة أولها، ألا وعليهم حلت اللعنة ".[٣٩]

إن المعرفة إذا بنيت على أسس منهجية وقواعد محررة وتكامل بين العلوم أدت إلى الترقي والعلو، ولكنها إن أسست على جهل وعصبية فإنها تتجه نحو التصارع والتسافل والانحدار، فتجد خلف الجهل يتبرأ من سلفه ويحقد عليه ويسبه ويكفره وهكذا .وينتج عن هذا الجيل

---

٣٩ – رواه الطبراني

جيل أشد إيغالا في التيه والضلال ، فينظرون إلى من سبقهم على أنهم كفار وفسقة ، ثم تنشق هذه الفئة على نفسها ، وتنشق الفرقتان إلى فرق مرات متتالية لا حصر لها.

وهذا الأمر قديم حديث يشبه ما حدث في تاريخ فرقة الخوارج سابقا في تاريخنا؛ فإنهم انقسموا إلى عدد كبير من الفرق كل فرقة تنقلب على أختها وتكفرها وتحاربها إلى أن اندثروا ليعودوا مجددا في العصر الحديث في شكل آخر وتحت مسميات مختلفة لتمارس نفس فكرة الانشقاق والخروج المتتالي اللامتناه، فقد بدأ أمر الخوارج بذي الخويصرة ثم الحرورية ،فالنجدات ، والأزارقة، والإباضية ، والشراة، والمارقة ، والغزالية .

وقد ظهر في القرون الأخيرة الوهابية والإخوان المسلمين والقاعدة والدواعش إلى ما تلى من جيش الشام وجيش النصرة و.....إلى غير ذلك من مسميات كجماعة خرجت على أبي بكر البغدادي زعيم الدواعش تسمى بـ " **المهاجرون العرب" انقلبت عليه وكفرته.**

وها هو أبو محمد المقدسي يؤلف كتابا سماه "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية" راعية الفكر السلفي التيمي،وآخر يكفر ابن تيمية لأنه لم يكفر الإمام أبا حنيفة ، ومنهم من كفر الألباني ورماه بالخيانة والعمالة ورماه بالإرجاء كسفر الحوالي الذي تشرب فكر التكفير من جهتين : المدرسة القطبية ، والمدرسة الوهابية .

وختاما ، فالأجيال الصالحة تنشأ على حب أسلافها من أهل الإيمان ، فيعترفون بفضلهم ، ويوقرونهم ، ويكملوا بناءهم ،قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر : ١٠]

ولما سمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى المقبرة فقال: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا : أَوَلَسْنَا

إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِى وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». [٤٠] علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لهم : أن إخوانهم كل من يأتي بعدهم. [٤١]

وأما النابتة التي تقرأ القرآن لا يجاوز تراقيهم فإنهم يحملون لأسلافهم غلا وحقدا .

وعن أم المؤمنين عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لسلفكم فشتمتموهم، أما أني سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تفنى هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها". [٤٢]

٦ – تهديد المجتمعات البشرية بنشر الحروب وذهاب الأمن والأمان والاستقرار من العالم كله.

رفض التعايش والسلم، ومحاربة مبادئ المواطنة والمعاملة بالمثل:

أنكر هؤلاء النابتة التعايش بين المسلمين وغيرهم، وحاربوا مبدأ المواطنة؛ فجزموا بأنه لا يستقيم لمسلمٍ إسلامٌ حتى يصرح بعداوة من حوله من غير المسلمين وبغضهم.

يقول محمد بن عبد الوهاب في "مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم":

[إنه لا يستقيم للإنسان إسلامٌ، ولو وحَّد الله وترك الشرك، إلّا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء] اهـ[٤٣].

وجعلوا مفارقة المسلم لغير المسلمين ركنًا سادسًا من أركان الإسلام، وعدُّوا إقامة المسلم في بلاد غير المسلمين، أو حتى في بلاد المسلمين بين غير المسلمين، من العلامات الدالة على

---

(٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه ١\٢١٨\ح٢٤٩

(٤١) تفسير القرطبي ١٨\٣٢

٤٢ – المعجم الأوسط:ج٥/ص٢٥٤ ح٥٢٤١.

(٤٣) "مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم" للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي (ص: ٣٠، ط. دار الإفتاء السعودية).

كفره، أو فسقه على أقل تقدير، وأن المسلم لا بد أن يُكِنَّ العداوة لغير المسلم في قلبه وإلّا لم يكن مسلمًا موحِّدًا، ولا بد له أن يصرح بهذه العداوة وإلا كان عاصيًا، ولا مخلص له من الإثم إلا أن يكون خائفًا عاجزًا عن التصريح بالعداوة والبغضاء، وألّفوا في ذلك الرسائل؛ محتجين بأحاديث اقتطعوها عن سياقاتها ليصلوا بذلك إلى تأييد مشاربهم المتطرفة بما يتيح إطلاق ألسنتهم بتكفير من لا يوافق مناهجهم الفاسدة.

فسئل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: عمن كان في سلطان المشركين، وعرف التوحيد وعمل به، ولكن ما عاداهم، ولا فارق أوطانهم؟

فأجاب -كما جاء في كتاب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية"-:

[هذا السؤال صدر عن عدم التعقل لصورة الأمر، والمعنى المقصود من التوحيد والعمل به؛ لأنه لا يُتَصوَّر أنه يعرف التوحيد ويعمل به ولا يعادي المشركين؛ ومن لم يعادهم لا يقال له: عرف التوحيد وعمل به، والسؤال متناقض، وحسن السؤال مفتاح العلم. وأظن مقصودك: من لم يظهر العداوة، ولم يفارق؛ ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة؛ فالأول: يعذر به مع العجز والخوف، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، والثاني: لا بد منه؛ لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي، لا ينفك عنه المؤمن؛ فمن عصى الله بترك إظهار العداوة فهو عاص لله. فإذا كان أصل العداوة في قلبه فله حكم أمثاله من العصاة، فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة فله نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية [النساء: ٩٧]، لكنه لا يكفر؛ لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير. وأما الثاني، الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة، فيصدق عليه قول السائل: لم يعاد المشركين؛ فهذا هو الأمر

العظيم، والذنب الجسيم، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين؟] اهـ[٤٤].

وأنكروا مبدأ المواطنة والمعاملة بالمثل، بل على المسلم أن يصرح بعداوة غير المسلمين في بلدانهم حتى ولو تركوه من غير إنكار عليه؛ فجاء في كلام الشيخ حمد بن عتيق في "الدرر السنية في الأجوبة النجدية": [وقد سئل أبناء شيخ الإسلام، رحمهم الله تعالى وعفا عنهم: عن السفر إلى بلاد المشركين للتجارة؟

فأجابوا بما حاصله: أنه يحرم السفر إلى بلاد المشركين، إلا إذا كان المسلم قويًّا له منعة، يقدر على إظهار دينه، وإظهار الدين تكفيرهم وعيب دينهم، والطعن عليهم، والبراءة منهم، والتحفظ من موادتهم، والركون إليهم، واعتزالهم؛ وليس فعل الصلوات فقط إظهارًا للدين. وقول القائل: إنا نعتزلهم في الصلاة، ولا نأكل ذبيحتهم حسن، لكن لا يكفي في إظهار الدين وحده، بل لا بد مما ذكر. وقول القائل: إنهم لا ينكرون علينا، قول فاسد، وإنكارنا على من يظن به الخير، ومن يخالطهم يخاف عليه، إن سلم من الردة لا يسلم من الكبيرة الموبقة] اهـ[٤٥].

والأصل عند المتطرفين في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب والقتال:

يدَّعي أولئك النابتة أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب وليس السلم، وأنه يجب على المسلمين شنُّ الحرب ضد غير المسلمين في كل مكان، ويستدلون بآيات السيف؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا

(٤٤) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٣٥٩/٨).

(٤٥) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٤١٢/٨-٤١٣).

سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»، وغير ذلك من الأدلة التي يفرغونها من سياقاتها ومواردها لتناسب أهواءهم وتشددهم.

أما الذي عليه المنهج الوسطي: فهو ما فهمه المسلمون عبر العصور؛ من أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هو التعايش والسلم وليس الحرب؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، وعلى ذلك تدل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وفعل المسلمين سلفًا وخلفًا؛ حيث فتحوا عقول الناس وقلوبهم قبل أن يفتحوا بلادهم، وهذا لا ينافي أن الجهاد في سبيل الله حق لدفع العدوان وردع الطغيان، فهو قتال وليس قتلًا؛ بحيث إنه لا يقاتل غير المسلمين لمجرد أنهم غير مسلمين، وبحيث إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرم التعرض لدور العبادة لغير المسلمين، وبحيث إن العدو لو انكف عن الظلم وارتدع عن البغي فليس للمسلمين أن يعتدوا عليه بعد ذلك؛ تمامًا كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، أي أنها حرب شريفة لرد الظلم ودفع العدوان وليس قتلًا للأفراد كما يحلو لبعض الجهلة أن يروجوا، فإذا تفلت من الضوابط الشرعية ولم تطبق فيه الأركان والشروط والقيود التي ذكرها علماء الشريعة خرج عن أن يكون جهادًا مشروعًا؛ فتارة يصير إفسادًا في الأرض، وتارةً يصير غدرًا وخيانة، فليس كل قتال جهادًا، ولا كلُّ قتل في الحرب يكون مشروعًا، وليس من الإسلام ولا من تعاليمه أن

يشن المسلمون الحرب ضد غير المسلمين في كل مكان؛ فهذا كذب على الإسلام أو سوء فهم لأحكامه. وأما آيات السيف في سورة التوبة وغيرها فإنما هي فيمن نقض العهد وحارب المسلمين وقتلهم وغدر بهم وترصد للفتك بهم، فالله يأمر المسلمين بالدفاع عن أنفسهم ضد هؤلاء المشركين، وسياق الآيات كله يدل على ذلك؛ حيث يقول تعالى في وصف هؤلاء المشركين: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]، وكذلك الحديث؛ فكلمة (الناس) فيه عام أريد الخصوص، حيث قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المرتدين الذين خرجوا على النظام العام للدولة الإسلامية وحاولوا تقويضها ومحاربتها وخانوا المسلمين، ومثل هذا الصنف من الناس يحاكمون في كل الأعراف والبيئات والثقافات بتهمة الخيانة العظمى، التي لا عفو عنها، ومع ذلك فقد فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب العفو عن الخارجين عن النظام بقوله في آخر الحديث: «فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، ثم قال: «وحسابهم على الله تعالى»، أي أن هذا القتال لهم باعتبار أفعالهم وممارساتهم في الخروج على النظام العام، أي أن حرية الاعتقاد مشروطة بعدم الخروج على النظام العام.

دعواهم أن سبب القتال هو مجرد الكفر لا ردع العدوان وصد الطغيان:

وكنتيجة لجعل هؤلاء الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب لا السلم، فقد غلوا في استهانتهم بالنفوس واستسهلوا الهجوم على سفك الدماء بلا حجة ولا برهان، ومَحَوْا مصطلح "الآخر" من الوجود في قاموسهم الفكري ونسبوا ذلك إلى الشرع؛ فرسخوا في عقول أتباعهم أن وجود الكفار في الدنيا غير شرعي، وأنه مخالف لمراد الله تعالى، وأنه حيثما وُجِدَ الكفرُ وُجِدَ القتل ووجب القتال حتى لو فَنِيَ الناسُ تقتيلًا وسفكًا للدماء؛ حتى قال قائلهم -وهو الشيخ سليمان بن سحمان النجدي كما في "الدرر السنية" (١٠/٥١٠)-:

[فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتًا، يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم] اهـ(٤٦).

وقال آخرُ في كتابٍ له حشاه بالشبهات وسمّاه "دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع":

[جهاد الكفار والمشركين سببه وعلته: الكفر والشرك الذي هم عليه لا مجرد المحاربة، وقد تظاهرت بذلك دلائل الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة في خير القرون وأفضلها، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، مدون في كتاب المغازي والسير، لا ينكره إلا مكابر] اهـ(٤٧).

وهذا كله استحلال للدماء المحرمة بالكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعبثٌ بالمعاني والألفاظ وخبط فكري يترجم عن استهانة أصحابه بدماء الناس ومهجهم، ويناقض ما علمه المسلمون سلفًا وخلفًا من احترام آدمية الإنسان مهما كان دينه أو عرقه أو مذهبه، وأن الأصل إبقاء الكفار وتقريرهم، وأن الله تعالى لم يشرع للمسلمين إفناء الخلق ولا السعي في إذهابهم واستئصالهم حتى يسلموا أو يُقتَلوا.

يقول الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح الشافعي في "فتاويه": [إن الأصل هو إبقاء

---

(٤٦) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٠/ ٥١٠).

(٤٧) "دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع" لسليمان بن عبد الرحمن بن حمدان (ص: ٥)، دار الطباعة والنشر، عمان، الأردن، وقد كان هذا الشيخ يحرم تسويد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينكر إنكارًا شديدًا على من يتلفظ به، ومن هنا يلمح الذكي أن كل هذه المشكلات الفكرية تبدأ من الأدب مع الحبيب المصطفى والنبي المجتبى صلى الله عليه وآله وسلم.

الكفار وتقريرهم؛ لأن الله تعالى ما أراد إفناء الخلق، ولا خلقهم ليُقتَلوا، وإنما أبيح قتلهم لعارض ضرر وجد منهم، إلا أن ذلك ليس جزاءً على كفرهم؛ فإن دار الدنيا ليست دار جزاء، بل الجزاء في الآخرة، فإذا دخلوا في الذمة والتزموا أحكامنا، انتفعنا بهم في المعاش في الدنيا وعمارتها، فلم يبق لنا أرب في قتلهم، وحسابهم على الله تعالى، ولأنهم إذا مُكِّنُوا من المُقام في دار الإسلام ربما شاهدوا بدائع صنع الله في فطرته، وودائع حكمته في خليقته.. وإذا وإذا كان الأمر بهذه المثابة لم يجز أن يقال: إن القتل أصلهم] اهـ(٤٨).

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي في "مجموع الفتاوى": [وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده: هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع عن هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة؛ كالنساء، والصبيان، والراهب، والشيخ الكبير، والأعمى، والزَّمِن، ونحوهم، فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان؛ لكونهم مالا للمسلمين، والأول هو الصواب؛ لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله] اهـ(٤٩).

وقال ابن تيمية الحنبلي أيضًا في كتاب "النبوات": [الكفار إنما يُقاتلون بشرط الحرابة؛ كما ذهب إليه جمهور العلماء، وكما دل عليه الكتاب والسنة، كما هو مبسوط في موضعه] اهـ(٥٠).

بل صنف ابن تيمية لتأييد ذلك والاستدلال له رسالة مستقلة عنوانها "قاعدة مختصرة في

---

(٤٨) فتاوى الإمام ابن الصلاح (ق: ٢٢٤)؛ نقلًا عن كتاب "الإسلام والعلاقات الدولية" لشيخ الإسلام محمود شلتوت.

(٤٩) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٣٥٤، ط. مجمع الملك فهد).

(٥٠) كتاب النبوات لابن تيمية (١/ ٥٧٠، ط. أضواء السلف).

قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم"، واستدل فيها على ذلك بنحو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ١٩٠]؛ فمما قاله في هذه الرسالة: [فقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ تعليق للحكم بكونهم يقاتلوننا، فدل على أن هذا علة الأمر بالقتال، ثم قال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ والعدوان: مجاوزة الحد، فدل على أن قتالَ مَن لم يقاتلنا عدوانٌ، ويدل عليه قولُه بعد هذا، فدل على أنه لا تجوز الزيادة.. ثم قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة: ١٩٣].. ولم يقل: وقاتلوهم حتى يُسلِمُوا] اهـ(٥١).

ثم قال أيضًا:

[وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» هو ذكر للغاية التي يباح قتالهم إليها؛ بحيث إذا فعلوها حَرُم قتالُهم، والمعنى: أني لم أومر بالقتال إلا إلى هذه الغاية، ليس المراد: أني أُمِرْتُ أن أقاتل كلَّ أحدٍ إلى هذه الغاية؛ فإن هذا خلاف النص والإجماع؛ فإنه لم يفعل هذا قط، بل كانت سيرته: أن من سالمه لم يقاتله] اهـ(٥٢).

ثم يستدل بقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قائلًا: [وهذا نصٌّ عامٌّ؛ أنا لا نُكرِه أحدًا على الدين، فلو كان الكافر يُقتَل حتى يُسلِم لكان

---

(٥١) "قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم" لابن تيمية (ص: ٩١-٩٤، ت. عبد العزيز آل حمد).

(٥٢) "قاعدة مختصرة" (ص: ٩٥-٩٦).

هذا أعظمَ الإكراه على الدين] اهـ(٥٣).

وقال تلميذه الشيخ ابن القيم الحنبلي في كتابه "أحكام أهل الذمة": [القتل إنما وجب في مقابلة الحراب لا في مقابلة الكفر؛ ولذلك لا يقتل النساء ولا الصبيان ولا الزَّمْنَى والعميان ولا الرهبان الذين لا يقاتلون، بل نقاتل مَن حاربَنا.

وهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل الأرض؛ كان يقاتل مَن حاربه إلى أن يدخل في دينه أو يهادنه أو يدخل تحت قهره بالجزية، وبهذا كان يأمر سراياه وجيوشه إذا حاربوا أعداءهم] اهـ(٥٤).

وقال ابن القيم أيضًا في "هداية الحيارى": [ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبين له أنه لم يُكرِهْ أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل مَن قاتله، وأمّا مَن هادنه فلم يقاتله ما دام مقيمًا على هدنته لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]، فلما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدأوه بالقتال قاتلهم، فمَنَّ على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقاتل بعضهم. وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدأوا هم بقتاله ونقض عهده، فحينئذ غزاهم في ديارهم، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم الخندق، ويوم بدر أيضا هم جاءوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم. والمقصود: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يُكرِهْ أحدًا على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختيارًا وطوعًا] اهـ(٥٥).

---

(٥٣) "قاعدة مختصرة" (ص: ١٢١).

(٥٤) "أحكام أهل الذمة" لابن القيم (١/ ١١٠، ط. رمادي للنشر).

(٥٥) "هداية الحيارى" لابن القيم (١/ ٢٣٨، ط. دار القلم).

وقال الإمام العلامة الخطيب الشربيني الشافعي في "مغني المحتاج": [ووجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد، إذ المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة، قتل الكفار فليس بمقصود حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد] اهـ(٥٦).

وقال الشيخ العلامة محمد رشيد رضا في "تفسير المنار": [(القاعدة العاشرة) جعل الغاية من القتال الديني حرية الدين ومنع فتون أحد واضطهاده، لأجل إرجاعه عن دينه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكل ما قدروا عليه من الإيذاء والتعذيب لأجل دينهم. وأما المسلمون فلم يفعلوا ذلك، ومن عساه شذ عن ذلك فقد خالف دين الإسلام الذي حرم الفتنة وحرم الإكراه في الدين، وشرع فيه الاختيار] اهـ(٥٧).

وقال شيخ الإسلام العلامة محمود شلتوت رحمه الله تعالى في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة": [السلم هو الحالة الأصلية التي تهيئ للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة.. وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم فهم والمسلمون في نظر الإسلام إخوان في الإنسانية] اهـ(٥٨).

ومع ذلك فما يفتأ النابتة يحاولون نشر باطلهم وإفكهم بتشويه هذه المفاهيم الشرعية

---

(٥٦) "مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج" للعلامة الخطيب الشربيني الشافعي (٦/٩، ط. دار الكتب العلمية).

(٥٧) "تفسير المنار" للشيخ محمد رشيد رضا (١٠/١٢٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٥٨) "الإسلام عقيدة وشريعة" لشيخ الإسلام محمود شلتوت رحمه الله (ص: ٤٥٣، ط. دار الشروق).

ومحاولة طمسها، وزعم أن الإجماع قائم على أن أصل العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم هو الحرب لا السلم، كذبًا على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، وافتراءً على حضارة المسلمين وتاريخهم الذي يعرفه البشر في شرق الأرض وغربها عبر الأمصار والأعصار؛ وسعوا سعيًا حثيثًا في إنكار رسالة الشيخ ابن تيمية الحنبلي المذكورة، وصنف بعضهم في ذلك رسالة سمّاها "دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع"(٥٩)، ضمّنها الشُّبَهَ الواهية التي يُلَبِّسُون بها على الخلق، ويَلْبِسُون فيها الباطل بالحق.

---

(٥٩) ألفها سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، عام ١٣٨٢هـ، وطبعت في مطابع دار الطباعة والنشر، بعمان، بالأردن.

٧ – التعالى على خلق الله الذين يخطئون ويذنبون، باعتبار أن المتطرف معصوم لا يقع في الخطيئة أبدا، ويحبون التمايز عن الناس والرياسة عليهم، ومن ثم يفتعلون المخالفات والاختلافات في المظهر والأفعال.

٨ – يحتقرون المرأة ويهينونها، سواء كانت أختا أو أما أو زوجة أو بنتا،فهي خلقت في نظرهم للخدمة والخلفة، ليست كائنا سويا مساويا للرجل.

٩ – الهروب من المسئولية، وعدم الصبر في تحملها والثبات في مواجهة العمل والاجتهاد، فهم دائما يرمون الأحمال على الآخرين ويتكلون عليهم في أمور معاشهم وإعالتهم، ولا يبالون بضياع أسرهم أو تفسخها تحت وطأة الحاجة والعوز ، ولا يبالون بفشل الأبناء وتفلتهم من التعليم .

١٠ – كثرة التقلبات في المزاج والهوى، فتراه قد تحول من شخص ملحد ينكر الدين بالكلية ويرتكب كل الموبقات والفواسق إلى ملتح ذي جلباب يفسق الناس ويحكم عليهم بالكفر لمجرد أنهم يتكاسلون عن الصلاة في المسجد أو ما شابه، ثم إن تعرض للبلاء تجده يرتد مرة أخرى لما كان عليه، فهم يتسمون بعدم الثبات وكثرة التحولات ربما داخل نفس النطاق ولكن بتطرف فيه، وربما بالانحراف بالكلية عن الدين إلى فكر آخر.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١]

رابعا

سماتهم الشخصية : العقلية ، النفسية.

١ – أحادية التفكير. ورفض الحوار والتعدد ورفض الحجج والمسالك والفهم.[٦٠]

٢ – إنكار البَدَائِهِ ومحاربة العقل ونقض المنطق ومعاندة المنهج والحياد عن الدليل.[٦١]

٣ – النصية والانتقائية. حيث تشبثوا بآحاد النصوص وأجزائها وانتقوا لأتباعهم ما يتوافق مع أهوائهم، وتركوا الفهم الكلي للنصوص واتباع مقاصدها وحكمتها التشريعية.

قال تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ٨٥]

٤ – اتباع الظنون والأوهام وتعميق العقلية الخيالية البعيدة والهاجرة للواقع المعاصر المعيش.

فقد حكموا على الناس بمجرد الظن والهوى، وطلبوا من أتباعهم العيش في واقع غير واقعهم وهذا على عكس مراد الشريعة، فالإسلام قد أمر بممارسة الواقع والتفاعل معه والاندماج مع أهله والتعارف بينهم، ولكن بقيم الإسلام ومبادئه، فالإسلام وضع منهجا وأحكاما، هم يزينون للناس عيش الأوائل مع ترك قيمهم ومناهجهم.

قال تعالى: (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) [النجم: ٢٨]

٥ – ازدراء العلم والتجاهل على العلماء وتحقيرهم، فالتحق بالمتطرفين كل جاهل : باللغة ،

---

(٦٠) راجع الملحق السادس عن قبول تعددية المذاهب والعمل على التقريب بينها.

٦١ – راجع الملحق السابع عن النموذج المعرفي الإسلامي والعقلية الإسلامية ومكوناتها.

بالواقع ، بالمصالح ، بالمقاصد ، بالمآلات .

احتقار المتطرفين للمسلمين واستسهالهم الطعن في أعراضهم:

أباح النابتة لأنفسهم وأتباعهم احتقار الخلق، والطعن في أعراض إخوانهم المسلمين، والوقوع بالسب والشتم فيمن لم يكن على شاكلتهم ولم يوافقهم على مشاربهم الشاذة، فلم يبقوا أديمًا لعالم من علماء المسلمين إلا لمزوه أو غمزوه، حتى ظهرت فيهم من يصف أئمة المسلمين وفقهاءهم ومحدثيهم بأنهم جهمية:

فنرى أحد مقدَّميهم (وهو من يسمي نفسه: أبا عبد الله الحداد) يكتب الطامات في تحقيقه لكتب أهل العلم؛ كمسنِد الدنيا الحافظ ابن عساكر، والإمام الزركشي، والإمام العراقي، وغيرهم حيث يصفهم بأنهم "جهمية".

بل صارت بعض طوائف النابتة تسب غيرها من تيارات التشدد للاختلاف في بعض المسائل أو المواقف أو الانتماءات، ثم تراهم ينسبون جواز ذلك السب واللعن للشريعة الغرّاء، والشريعة من إفكهم براء؛ فتارة يستدلون ببعض أحاديث لا يفهمون مرادها، ويقتطعونها من سياقاتها وسباقاتها ولحاقاتها، وتارة يستدلون بآيات ذم المنافقين والظالمين والكافرين على ما يفعلونه من الوقيعة في علماء الأمة وأوليائها وصالحيها، حتى نسب بعض متهوريهم السب إلى الله سبحانه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا!

والحق أن الإسلام لا يعرف هذا العبث، بل قد جاءت الشريعة باحترام كرامة الإنسان من حيث هو إنسان؛ فالمسلمون يؤمنون بأن الإنسان بنيان الرب، ملعون مَن هدَمه، وأن الله تعالى قد خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وطرد إبليس من رحمته عندما استكبر عن السجود له؛ فكان احترام الآدمية صفة ملائكية قامت عليها تعاليم الإسلام وحضارة المسلمين، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ

الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْناهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وفي المقابل كانت إهانته واحتقاره عملًا شيطانيًا مستوجبًا للعنة والعقاب.

والحفاظ على كرامة الإنسان (ويعبر عنها الفقهاء بالعرض) مقصد من المقاصد الكلية الخمسة للشريعة الإسلامية، (وهي: النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال)، حتى قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «ليس شيءٌ أكرم على الله عز وجل من ابن آدم» رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

وقال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «ألا أُخْبِرُكُم بِالمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ على أموالِهِم وأنفُسِهِم، والمُسلِم مَن سَلِمَ النَّاسُ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ» أخرجه الإمام أحمد في المسند، وابن حبان في صحيحه، وغيرهما.

وفي النهاية وتبعا لنظرية تتالي الأجيال خرج رجل مأفون يدعى صالح العقيلي ليحدث الناس أن السلف الصالح أجمعوا على كفر الإمام أبي حنيفة النعمان. ومن لم يكفر أبا حنيفة فهو كافر مثله، وبناء عليه فإن هذا المجنون كفر المسلمين سلفا وخلفا؛ لأن الحقيقة أنهم مجمعون على إمامة أبي حنيفة إلا هو.

٦ – ترسيخ الكراهية لكل شيء وهدم كل مقدس وكل قيمة قدرها الناس وعظموها حسب أوامر الشريعة، فقد صوروا لأتباعهم أن توحيد الله بالربوبية والألوهية يقتضي كراهية ما عداه وتحقير ما دونه ونبذ الخلق ...وهكذا، وهذا خبل وتجنٍ، فإن توحيد الله لا يتعارض أبدا مع تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتقديس مقامه والتأدب معه والتوسل به والتبرك بآثاره، وكذا الأولياء الطاهرين وكذا تعظيم كل ما عظم الله ، وتعظيم كل ما أدى إلى محبة الله .

٧ – فقد السند. ضاع من هؤلاء المبطلين. الذين يدعون اتباعا لا ابتداعا والذين ينسبون أنفسهم إلى السلف . السند، والإسناد هو ميزة أمة الإسلام وهو الذي وثق نصوصهم الشرعية وهو الذي حافظ على وحدتهم وترابطهم جيلا بعد جيل، ولكن هؤلاء النابتة الذين ظهروا من غير أصل لهم يستندون إليه وينقلون عنه ويأخذون منه ، هجروا الإسناد وتجاهلوه.

٨ – فقد البركة. فصارت حياة الناس . حسب وجهتهم . مادية صرفة ، وافتقدت للزيادة الروحية وفقدت السكينة التي كانت تروج في ظلها الماديات، كالطعام والشراب والخيرات وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

٩ – اتخذوا من الوسائل الشريفة النافعة سبيلا لتحقيق غاياتهم الخبيثة، فاتخذوا من الكُتَّاب والمسجد والنشاط الاجتماعي التكافلي والنقابات العمالية والفضاء الإلكتروني؛ وسائل

لترويج أفكارهم الهدامة ومناهجهم الفاسدة لعموم الخلق.[٦٢]

١٠ – الاهتمام الشديد بالشكليات والمظاهر، والتمسك المتطرف المبالغ فيه بالفروع ، بما يجور على مراعاة الأصول والتمسك بها، فربما تساوت في سلوكياتهم الفروع بالأصول، وربما قلب الفروع أصولا والأصول فروعا، فصورة المسلم الصالح كما يروجونها للناس هو من يسكن الصحاري والجبال ويحمل السلاح ويلبس الجلباب ويقصره ويطيل لحيته ويأكل بيده ويقضي حاجته في الخلاء وهكذا...

٦٢ – راجع الملحق الثامن عن تاريخ جماعة الإخوان المسلمين وتلاعبها بالوسائل الشريفة لأجل تحقيق غايات شخصية وسلطة دنيوية.

المواجهة والعلاج

أولا: من أين يبدأ العلاج؟

إن التطرف والغلو مرض مزمن في الإنسانية منذ القدم، وسيظل هناك تطرف ما دامت البشرية، ولكن الهدف أن يجعل عقلاء الناس وأصحاب الديانة وأصحاب القيم محددات وأطر تحفظ حياة الأسوياء من البشر لأجل استمرار الحياة على الكوكب، فالتطرف مرض موجود وعليه فيجب التأقلم معه ومعايشته والسيطرة عليه والحد من مخاطره وشروره، وعدم تحفيزه بعوامل كالتطرف في محاولة استئصاله كلية، فإن ذلك سيثيره ويجعله ينتشر ويزداد شراسة.

إن التطرف في مصر الآن - حسب الحالة الراهنة - صار متوحشا وخبث الورم واستشرى يهاجم الخلايا رغبة في تدميرها، وعليه فإن المجتمع يجب أن تتضافر جهوده في وقف تلك الهجمة والسيطرة عليها بكل سبيل.

ولكن لتكن البداية بملاحقة أسباب المرض، والمرض في حالتنا هو انتشار الإرهاب والإجرام ولقي التطرف رواجا في المجتمع، فإن وقف الأسباب يسبق دائما معالجة المرض والظاهرة، فإن الانصراف كلية إلى مواجهة مرض الإرهاب ذاته سيجعلنا كمن ينفخ في إربة مقطوعة يريد نفخها ولن يكون.

فالتطرف والإرهاب أسباب معروفة ومدروسة، فيجب أولا التعرض لهذه الأسباب بمحوها وإزالتها حتى يتوقف تفريخ الإرهابيين المستمر في المجتمع بشكل انشطاري شديد، أما الوقوف طويلا أمام أثار المرض - ظهور الإرهاب في شكل جماعات مسلحة وإجرامية - فلن يجدي طالما أن هناك في وسط المجتمع مع يدعم هؤلاء الإرهابيين ويزج بهم في عالم الجريمة.

إن وراء الإرهابي مجرما أشد إجراما وهو من غرس في ذهن المتطرف تلكم الأفكار والمفاهيم المغلوطة عن الدين والواقع والحياة أدت به إلى الانخراط فيما هو سالكه، فإن الذي ربى الإرهابي وحشاه بتلك العفانة ودربه على الغلظة والكراهية هو الماء والهواء الذي غذى الإرهاب وجعله يترعرع وينمو.

فلنفتش عن الأسباب في المجتمع بسؤال الإرهابي : من رباك ؟ من علمك؟ من صاحبت؟ فإن توصلنا إلى اليد التي غرست هذا الإرهابي واقتلعناها من المجتمع، بمرور الوقت سيغدو الإرهاب وحيدا منبوذا طريدا لا يجد تأييدا أو دعما من المجتمع، وعليه فسوف يخرج الإرهابي ويهرب من دائرة إجرامه ويأتي إلى المجتمع يسأله الصفح والعفو ويرغب في العودة والاندماج والانخراط في حياة طبيعية.

فالاستئصال . السهل . هو قطع ألسنة أئمة الزور الذين يروجون لهذه الأفكار المغلوطة والعقائد الفاسدة، وهذا هو ما سعينا إليه في موسوعة أشرفنا عليه وهي البيان، في مجلدات عديدة ومستمرة، حتى نغير الفكر المتطرف بتعريضه لمنبهات أخرى تملأ عقله وتزيل الدوائر المعرفية المرضية التي سيطرت عليه .

الخطاب الديني هو لون من التربية وهو المتغير الذي يجب تحديثه، أما العقائد فهي ثابتة، فالخطاب الديني أمر مشترك نربي جميعا أبناءنا على احترام الآخر واحترام عقيدته بمعنى احترام حقه في اعتناقها، ويمكن تصور شيخا ومذيعا ومدرسا وقسا وأبا وأما يتحدثون بلغة واحدة في الخطاب الديني وإن كان للمسلم عقيدته وللمسيحي عقيدته، ولكن ثوابت العقيدة تشغل مساحة في الأديان قليلة والمساحة الأكبر التي يجب التركيز عليها في الخطاب الديني هي مساحة القيم والأخلاق، فلنحدث الناس عن القيم الإنسانية والدينية كالاحترام . التسامح . العفو . المحبة . التعاون . الحرية . التواضع . النزاهة . الصدق.

فماذا ننتظر من شيخ يخرج على أتباعه فيحدثهم عن السبايا والإماء ومحاربة الخلق لأجل الغنائم وعقد سوق للنخاسة وغير ذلك ؟

إن مثل هذه الرجل يسيء للنبي صلى الله عليه وسلم بفعله ذلك، لأنه يجلس في موضع ورثه النبي صلى الله عليه وسلم للعلماء، فسطى عليه ذلك الجاهل واعتدى بتشويه دين الإسلام.

وعليه فيجب على الدولة أن تولى مسألة التوعية والتثقيف والتربية أهمية كبيرة، ونقترح لذلك تنشيط الدور الذي كانت تلعبه قصور الثقافة لنشر الإبداع والفنون وفتح المجال للمحاورة والنقاش بين الشباب، ويجب على الدولة غرس قيم لنبذ العنصرية أو الطائفية أو الطبقية أو التمييز العرقي أو الجنسي كما ينص الدستور، وكما يتفق مع العقل والمنطق والدين.

إن مواجهة الإرهاب تحتاج إلى تضافر جهود المجتمع كله لأجل : التعاون . التربية . التنمية . الانتماء . الأمل.

وعليه فيجب على مجلس مكافحة الإرهاب أن يقوم بدور عملي تطبيقي في أرض الواقع، ونقترح لذلك تشكيل عددا من اللجان المتخصصة التي تتولى تنفيذ ونقل للأفكار والتنظيرات في المجلس إلى أرض الواقع، ويقوم عليها أشخاص مبدعون من أصحاب الرؤى وتمنح لهم سلطان مساعدة.

ثانيا : أفكار وتصورات.

١ – ينبغي مواجهة التطرف في إطار استراتيجية مجتمعية شاملة تقوم على أساس التنمية الشاملة والتطوير الشامل المستمر للمجتمع، ولن يكون هذا كله ممكنا إلا من خلال تعاون أجهزة الدولة ممثلة في وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي والشباب والرياضة والثقافة والأوقاف والأزهر والكنيسة .

٢ – أن يقوم المجتمع على أساس العدالة الاجتماعية بمحاربة للفساد ورغبة حقيقية في القضاء على مشكلة البطالة، وتطوير التعليم والثقافة وغيرهم.

٣ – أن يقوم الإعلام بدوره المهم في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في العالم، والتي نجح الإعلام الغربي وبعض القنوات العربية وبعض المنظمات الإرهابية التي تزعم أنها تنتمي للإسلام في جعل الصورة الذهنية النمطية عن الإسلام صورة مرتبطة دائما بالإرهاب والتطرف.

٤ – إنشاء مواقع إلكترونية أو صفحات علي مواقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" للتحاور مع ذوي الأفكار المتطرفة، ويتم ذلك بواسطة عدد من علماء الدين وعلماء النفس والاجتماع والسياسة والمفكرين من كافة الاتجاهات، وليكن عنوانه "أسمعك وتسمعني" – "أفهمك وتفهمني" – " تعالوا إلي كلما سواء" – "الحوار بديلا عن العنف"، ويستحب أن تكون تلك المواقع تحت إشراف وإدارة الأزهر والكنيسة، والمثقفين الوسطيين سواء أعضاء المجلس أو دعوة اخرين إلي الانضمام، ويكون لديها سعة الصدر لتتلقي كافة الأسئلة والاستفسارات المتطرفة وحتي الهجومية، وأن ترد عليها بشكل متحضر، فتكون نموذجا للتقبل والتسامح علي الرغم من شطط الطرف الآخر.

٥ – مواقع إلكترونية أو صفحات تتجاوز مواقع الإرهاب تحت عنوان " العائدون من

محاضن التطرف"، للتعريف بقصص وتجارب العائدين من داعش والقاعدة وغيرها من قصص انضمامهم وتجربتهم، ولماذا وكيف قرروا العودة، ويتبع ذلك تعليقات من المتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية، على تلك الحالات على أنها دراسة حالة، يمكن تحليلها والاستفادة منها في تخطيط جهود الوقاية والعلاج لظاهرة التطرف.

٦ - عدم التعامل مع أصحاب الفكر المتطرف على أنهم مجرمون، فهذا يوسع دائرة التطرف وينقله إلي الإرهاب، فالتطرف يمكن أن يكون مجرد فكر أو معتقد مغالى فيه أو منحرف عن الصواب، يحتاج للمناقشة والتحليل ما لم يمارس العنف، وهذا يعطي فرصة لسحب أعداد كبيرة من المتطرفين بعيدا عن دوائر العنف والإرهاب.

٧ - ترشيد الخطاب الإعلامي المقروء والمرئي وصفحات ومواقع الانترنت المحرض والمستفز والعدواني، الذي يستجلب المزيد من الأعداء للسلطة والمجتمع كل يوم، خاصة الرموز الإعلامية المجروحة.

٨ - إتاحة الفرصة لعدد من المتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية للقاء مباشر مع عدد من المتورطين في أعمال عنف بناء على أفكار متطرفة، وذلك للتعرف على الخريطة الذهنية لهم وكيف اندفعوا في هذا الطريق وربما يتم عمل دراسات علمية منضبطة للظاهرة، فلا ينحصر التعامل معها في الدوائر الأمنية فقط.

٩ - عمل مشروع لاستقبال العائدين من التطرف وتهيئة الفرصة للحوار معهم وفتح مجالات للدراسة والعمل، لحمايتهم وحماية غيرهم من الانخراط مرة أخري في التطرف، وهذا ما قامت به السعودية في الفترة الأخيرة في مشروع " المناصحة"، الذي أثنت علية وقدرته العديد من المؤسسات الدولية حيث يحمل توجها علاجيا وليس عقابيا لأصحاب الفكر المتطرف.

١٠ - عمل مناظرات تليفزيونية ومحاورات مع المتطرفين خارج وداخل السجون بمشاركة كبار العلماء المعتدلين والمحايدين ذوي القبول من الشباب وغير محسوبين على السلطة أو المعارضة، وكذلك مسلسلات وأفلام تظهر هذا الفكر الضلالي بطريقة غير مباشرة.

١١ - الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ومحاربة الفساد وتحسين أحوال الناس، فالتطرف لا ينطلق فقط من قواعد دينية وإنما ينطلق أيضا من قواعد نفسية واجتماعية وسياسية تحتاج لوضعها في الاعتبار.

١٢ - محاولة الاكتشاف المبكر للتطرف الفكري والوجداني ومحاولة علاجه قبل أن يتحول إلي تطرف سلوكي يوقع صاحبه تحت طائلة القانون.

١٣ - دراسة كل حالة توصف بالتطرف على حدة، ويشترك في هذه الدراسة أطباء نفسيون وأخصائيون نفسيون واجتماعيون وعلماء دين.

١٤ - البعد عن التعميم في التعامل مع المتطرف ومحاولة حصر ردود الأفعال تجاه من يصدر منه السلوك المتطرف حتى لا تتسع دائرة التطرف والتطرف المضاد مع الوقت.

١٥ - التأكيد على أهمية الحوار العلاجي، ذلك الحوار الذي يضع في الاعتبار دوافع التطرف وأسبابه وطرق علاجه، وفي ذات الوقت لا يلغي المسؤولية الجنائية المترتبة على السلوك المتطرف، وهذا الحوار ربما ينجح في قطع الدوائر المغلقة والتغذية المرتدة للتطرف من خلال اكتشاف خلل معرفي أو وجداني أو سلوكي يمكن تصحيحه أو عالجه قبل وأثناء وبعد توقيع العقوبة.

١٦ - تنظيم المجتمعات بالصورة التي تخفض مثيرات التطرف والعنف إلي أدني مستوي، وذلك من خلال منع الظلم على المستوي الفردي والاجتماعي، وإرساء العدل

ومنع تفشي الفواحش والمنكرات، وإرساء قواعد التكافل الاجتماعي ومحاربة الفساد، وإعطاء فرص حقيقية للتعددية السياسية والفكرية التي تمثل كافة التيارات الموجودة في المجتمع دون استبعاد أو وصم أو إلغاء.

١٧ - بث الوعي الديني الذي يرتقي بروح الإنسان عن طريق تقوية الإيمان الذي يسمو بالنفس.

١٨ - تدريس أدب الخلاف الديني والفكري والسياسي والاجتماعي ضمن المناهج الدراسية .

١٩ - المواجهة الشاملة متعددة المستويات وطويلة الأمد على مستوى السلطة والشعب والمجتمع المدني والمؤسسات الدينية والفكرية والثقافية والسياسية، لأن اقتصار المواجهة على المؤسسات الأمنية والطرق العقابية وحدها قد يغذي التطرف ويخلق حالة من الثأر ويوسع دوائر العنف والعنف المضاد، فضلا عن خسائر في الأرواح وانتهاكات حقوق الإنسان والكلفة السياسية والدولية المرهقة.

٢٠ - ضبط الخطاب الإعلامي التحريضي والعدائي الذي يزيد من استفزاز المجموعات المتطرفة ويشعل نار العداوة ويوسع دائرة الصراع ويخلق حالة من النبذ والإقصاء والتخوين والعنصرية.

٢١ - ضبط أداء المؤسسات الأمنية، بحيث لا تخرج في مواجهتها للإرهاب عن القانون ولا تنتهك حقوق الإنسان ولا توسع دائرة العداءات باستهداف أفراد أو مجموعات ليس لهم علاقة مباشرة بممارسة العنف.

٢٢ - فتح المجال السياسي وذلك بتنشيط الأحزاب وإعطاء مساحات جيدة للتعبير عن الرأي والرأي الآخر، حيث هناك قاعدة مهمة تقول: إذا ماتت السياسة ولد العنف.

٢٣ - محاربة الفساد وذلك لمنع الشعور بالإحباط والظلم وانعدام العدالة الاجتماعية.

٢٤ - التنمية التي تسمح باستيعاب طاقات الشباب والعمل والتعمير والإبداع والتغيير للأفضل.

٢٥ - ضرورة تعديل الخطط والبرامج الدراسية مع التركيز على الموضوعات المتعلقة بالقيم الإنسانية والتربية عن طريق الفن وتنمية الخيال. يمكن القول إن ثقافة الإبداع هي الجديرة أكثر من غيرها بمواجهة ثقافة الإرهاب، فبينما يقوم الإبداع بالتركيز على المستقبل، تهتم ثقافة الإرهاب بالتركيز على الماضي وتعارض التأمل والتفرد والخيال ومرونة التفكير ، ويشجع الإبداع التمرد الإيجابي الفعال لصالح المجتمع والإنسان بالخيال والتفكير الاحتمالي النسبي الترجيحي، بينما تشجع ثقافة الإرهاب السمع والطاعة، وتقوم ثقافة الإبداع علي أساس المصارحة والمكاشفة والاعتراف بالخطاء والتصحيح الذاتي، بينما تقوم ثقافة الإرهاب علي أساس الإسقاط والإنكار.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع : (٢٠١٩/٥٣٣٩م)